رواية

ملكة سبا

بقلم

امين زيدان

نشرت متسلسلة في مجلة «الاخلاق» وطبعت على نفقة منشئها

سنة ١٩٢٢

المطبعة التجارية السورية الامريكية في نيويرك . لصاحبها سلوم مكرزل

THE SYRIAN-AMERICAN PRESS NEW YORK.

اهـداء الرواية

الى النجمة التي تبهج نفوسنا بلمعانها في ظلمات الحياة. الى الواحة التي تنعش قلوبنا في وسط صحراء الهموم. الى النحلة التي تجمع الاري من الازهار الادبية وتقدمه الينا شهدا شهيا. الى مجلة الاخلاق الزاهرة اهدي هذه الرواية

امين زيدان

مقدمة الناشر

شاء الكاتب الاديب امين زيدان ان ينقل هذه الراوية البديعة عن لوحة الصور المتحركة الى الواح القلوب الحساسة وان يبرزها الى عالم الادب العربي بقالب روائي جميل، فزاد عليها ما رآه ضروريا لربط الحوادث وضبط التاريخ ولطف من مشاهدها ما وجده غير مطابق للذوق الشرقي، واوجد لها من عندياته بقوة خياله وبفضل تنقيبه وبحثه في الكتب التاريخية والكتاب المقدس — حوادث كثيرة لم تكن في الرواية مطلقا ولا ابرزتها الشركة التي اعتنت باظهارها الى عالم التمثيل بواسطة الصور المتحركة فجاءت اجمل من الاصل وان اختلفت عنه اختلافا ظاهرا يشعر به من شاهدها . نقول هذا لئلا يتوهم البعض انها معربة عن الانكليزية او غيرها فانها حتى الان لم تنشر الا في اللغة العربية كما هي هنا

وربما يتبادر الى ذهن البعض من رجال الدين الذين قد يطالعون هذه الرواية اننا نقصد التحامل على الملك سليمان فقبل ان يصدروا حكمهم علينا نلفت انظارهم الى ما جاء في الكتاب المقدس في سفر الملوك الثالث (واحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع ابنة فرعون .. وكان له سبع مئة زوجة وثلاث مئة سرية فازاغت نساؤه قلبه ص ١١ عدد١و٣) ومع اننا لا نجزم بصحة الحوادث الغرامية



التي تقصها علينا الروية عن سليمان وملكة سبا فلا نستغرب ايضا اذاقام في هذه الايام من يعتقد بصحتها اذ لا يستبعد ان تكون «سبا» احدى النساء اللواتي سبينه وازغن عقله

«فالاخلاق» اقرارا بفضل «الامين» واعجابا بمقدرته على تصوير الاخلاق وتمثيل العادات في كتاباته الروائية ورغبة منها في نشر كل مفيد تطبع هذه الرواية على نفقتها وتحث عشاق الادب على الاقبال عليها لانها من الروايات التي تلذ مطالعتها وتفيدمعا

يعقوب روفايل
منشئ ومحرر «الاخلاق»

مقدمة الرواية

من هي ملكة سبا

لملكة سبا شهرة تكاد تعادل شهرة كليوبطرة الملكة المصرية ، غير ان الحقائق والتفاصيل التاريخية المعروفة عنها هي اقل بكثير مما هو معروف عن ابنة النيل ، فلو سئل انسان «ماذا تعرف عن ملكة سبا» لما استطاع ان يجيب بسوى انها زارت الملك سليمان في اورشليم معتمدا في ذلك على ما جاء في التوراة

وسبب هذا الغموض هو ان ملكة سبا كانت في الجيل العاشر قبل الميلاد وقليلة هي السجلات التاريخية التي ترجع الى ذلك العهد القديم ، بخلاف كليوبطرة ملكة مصر التي ظهرت بعد ذلك بالف سنة تقريبا فان حداثة عهدها النسبية وعلاقاتها الغرامية مع يوليوس قيصر اولا ومع صديقه انطونيوس ثانيا، وما نتج عن ذلك من الاضطرابات والانقلابات في الدولتين الرومانية والمصرية — هذا كله سهل على التاريخ تناول حوادثها وتسجيل اخبارها

ولكن المؤخرين والبحاثين ما كانوا ليرضخوا للغموض الذي يحيط بملكة سبا ، فاخذ المتقدمون منهم بالبحث في التواريخ والاخبار والمرويات القديمة وتحليل وتعليل

واخذ المتاخرون بالتنقيب في الارض ونبش قبور الاقدمين علهم يجدون ضالتهم المنشودة، غير ان نتائج تلك المساعي لم ترو غليلا فكل ما توصلوا اليه ليس سوى اراء متباينة متناقضة مبنية على الترجيح او التخمين

واهم هذه الاراء ما اورده العرب من ان ملكة سبا كانت عربية يمنية من بني قحطان واسمها بلقيس فقد جاء للنويري وابن الاثير ما نصه

وكان يعرب بن قحطان من اعاظم ملوك العرب ويسمى يمنا وبه سميت اليمن وقيل انه اول من نطق بالعربية . قال حسان بن ثابت الانصاري

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب
ابينا فصرتم معربين ذوي نفر
وكنتم قديما ما لكم غير عجمة
كلام وكنتم كالبهائم في القفر

وملك بعد يعرب ابنه يشجب وملك من بعده ابنه عبد الشمس واكثر الغزو في اقطار البلاد فسمي «سبا» وكانت قاعدة ملكه مدينة صنعاء

وجاء لابن خلدون

وكان لسبا من الولد كثير اشهرهم حمير وعمرو وكهلان فيعزى التابعة الى حمير والمناذرة الى عمرو والغساسنة الى كهلان. وكان التبابعة بنو حمير ملوكا عدة في عصور متعاقبة واحقاب متطاولة لم يضبطهم الحصر ولا تقيدت منهم الشوارد وربما كانوا يتجاوزون ملك اليمن الى ما بعد عنه من العراق والهند والمغرب

وجاء لحمزة الاصفهاني

واما حمير (ابن سباء) فقد يعرف ايضا بالعرنجج (ملك سنة ١٤٣٠ ق٠م٠) وقيل هو اول من تتوج بالذهب وملك بعده ابنه وائل ٠ ولم يزل ملكهم على اليمن حتى مضت قرون وصار الامر الى شداد فغزا البلاد الى ان بلغ اقصى المغرب وبنى المدائن والمصانع ٠ ثم اضطربت احوال بلاد حمير وصار ملكهم طوائف الى ان استقر في الحارث وهو اول التبابعة

وجاء لابن الاثير والمسعودي

وبعد الحارث ملك ابرهة ذو المنار ثم افريقس (سنة ١٠٩٨ ق٠م٠) وذهب بقبائل العرب الى افريقيا وبه سميت وملك بعده اخوه عمرو ذو الاذعار ولم يحسن السيرة في الرعية فذعرت حمير من جوره وخلعت طاعته وقلدت الملك شرحبيل ثم ملك بعده ابنه الهدهاد (سنة ١٠٦٥ ق٠م٠)

ثم ملكت بلقيس ابنة الهدهاد وكانت على عهد سليمان ووفدت عليه بنفيس الهدايا وبقيت في ملك اليمن عشرين سنـــة

وجاء للاب لويس شيخو اليسوعي في مجلة المشرق في العدد الثاني لسنة ١٩٢١

وقد ذكروا سبعة من مشاهير السيوف زعموا ان بلقيس ملكة سبا اهدتها الى سليمان الحكيم وفي ذلك دلالة على اهلها اليمن وهي ذو الفقار كان لمنبه بن حجاج فصار الى نبي الاسلام٠ ثم ذو النون والصمصامة كانا لعمرو بن معدي كرب ٠ ثم مخذوم ورسوب كانا للحارث بن جبلة

ملك غسان النصراني ثم ضرس الحمار وقيل ضرس العير او ضرس البعير و كان لعلقمة بن ذي قيفان الحميري. ثم الكشوح ولم يذكروا اسم صاحبه

وجاء للمرحوم جرجي زيدان في الجزء الاول من مختاراته صفحة ١٦٠

ومن الملكات العربيات اللواتي وصلتنا اخبارهن في الجاهلية الملكة بلقيس ويظهر مما رواه العرب عنها انهم يريدون بها ملكة سبا الوارد ذكرها في التوراة ولها مع سليمان حديثها المشهور .. فاذا صح زعمهم اقتضى ان تكون من اهل القرن العاشر قبل الميلاد . ولكن يؤخذ من نسبها عندهم انها من حمير وقد نبغت في اواسط القرن الرابع للميلاد فاما انها غير ملكة سبا واختلط امرها على رواة الاخبار فظنوها اياها او انها ملكة سبا واشتبه عليهم نسبها لكنها في كل حال ومهما تخلل اخبارها من الخرافات والمبالغات فالتواتر يدل على انها ملكة عربية حكمت في جنوبي بلاد العرب و كان لها شان في تاريخهم

وجاء في الانجيل عن لسان يسوع الناصري

ملكة التيمن ستقوم في الدين مع هذا الجيل وتحكم عليه لانها اتت من اقاصي الارض لتسمع حكمة سليمان وههنا اعظم من سليمان (متى ص١٢ ع٤٢)

ولا ندري ما هو المقصود «بملكة التيمن» الا اذا كان ملكة اليمن

ونكتفي هنا بما ذكرناه من الادلة عن ان ملكة سبا عربية يمنية وننتقل الى راي اخر يضاهي الاول في انتشاره

وهو ان ملكة سبا كانت حبشية وبلاد سبا كانت البلاد الواقعة في القسم الشرقي من القارة الافريقية غربا من البحر الاحمر وان بلاد الحبشة المعروفة اليوم ليست سوى قسم صغير تبقى من تلك المملكة العظيمة

ولما كان البعض يتهمون الملك سليمان بانه احب ملكة سبا وبان قصيدته المشهورة بنشيد الانشاد لم تكن الا تغزلا فيها فهم يقتطفون من ذلك النشيد ماجاء في الاصحاح الاول والعدد الخامس ليدعموا به رايهم في ان ملكة سبا كانت سوداء وهاك نصه

«انا سوداء ولكنني جميلة يا بنات اورشليم، كاخبية قيدار كسرادق سليمان»

وتقول هذه الفئة ان سليمان وضع هذه العبارات في قصيدته لان حبيبته ملكة سبا تفوهت بها عندما لعبت الغيرة منها في صدور بنات اسرائيل وفي قولها «كاخبية قيدار» دليل على انها لم تستح بلونها الاسود بل ارادت تثبيته بتشبيهه باخبية او خيام قيدار لان تلك كانت تصنع من شعر الجمال الاسود . وفي قولها «كسرادق سليمان» اشارة الى ما كانت تتداوله الالسنة من ان سرادق او ستائر الملك سليمان في غرفة نومه كانت سوداء لتحجب عنه النور فيتمكن من النوم

ومما زاد في شهرة هذا الراي هو ادعاء منليك امبراطور الحبشة بانه سليل ابن لسليمان ولدته ملكة سبا

غير ان هذا الراي لم يستمل اليه اتباعا كثيرين في بادىء الامر لصعوبة التصديق بان سليمان احب امراة زنجية ولكن

بعثة اثرية من جامعة هارفرد في امريكا ذهبت منذ عهد قريب الى بلاد الحبشة للتنقيب واكتشاف الاثار القديمة فعثروا على ما يحسبونه دليلا قويا على ان ملكة سبا كانت حبشية

وخلاصة تقارير هذه البعثة تدل على انهم اكتشفوا اهراما قبر فيها لا اقل من عشرين ملكا من ملوك الحبشة الاقدمين يرجع تاريخهم خلفا من سنة ٢٥٠ الى سنة ٦٦٠ ق٠٠م٠ او الى عهد يقرب من اربع مئة سنة بعد سليمان وقد وجدوا ان تلك البقعة التي عثروا فيها على الاهرام كانت تدعى «نباتا» وكانت عاصمة لمملكة تدعى «شبا» او «سبا»

ويفسرون قول النشيد «انا سوداءولكنني جميلة يا بنات اورشليم» بان الحبشيين في ذلك الزمان لم يكونوا قبيحي الصورة كالزنوج او كسكان الحبشة اليوم بل كانوا كالبيض تماما في ملامحهم وتكوينهم ماعدا لونهم فقد كان اسود٠ اما اليوم فقد تغيرت ملامحهم لاختلاطهم وتزاوجهم بجيرانهم زنوج افريقيا

وقد وجدوا في الاهرام ايضا خرائط ونقوشا تدل على ان البلاد كانت غنية بمعادنها الذهبية وهذا يسهل تعليل قول الكتاب عن الذهب الذي اهدته ملكة سبا الى سليمان وقدره مئة وعشرون وزنة —

اما المؤرخ الالماني دختنبرغ فيقول في كتابه الذي عنوانه «سبا وعصرها» لا صحة لما يعتقده بعض المؤرخين من ان مملكة سبا كانت في القسم الشرقي من القارة الافريقية اي حيث هي الحبشة اليوم تقريبا ولكنها كانت

على شاطىء البحر الجنوبي من بلاد الفرس اي شرقا من مدخل الخليج المعروف اليوم بخليج العجم وكانت قبلا تابعة لمملكة بابل العظيمة وكان شعبها نشيطا متقدما في العلوم والفنون فلم يطيقوا ان يرضخوا لبابل طويلا فثاروا وخلعوا عنهم النير الاجنبي واسسوا مملكتهم في سنة ١٥٤٦ ق٠م٠ وهذا الراي وان يكن مخالفا للرايين السابقين فهو يعضد قليلا الراي الاول القائل بان ملكة سبا عربية يمنية فان ملوك اليمن ، كما قال ابن خلدون، لم يضبطهم الحصر ولا تقيدت منهم الشوارد وربما كانوا يتجاوزون ملك اليمن الى ما بعد عنهم من العراق والهند والمغرب

وهكذا نرى مما تقدم ان لا ادلة قاطعة لدينا تمكننا من اصدار حكم صحيح على نسب ملكة سبا ولن نكن ميالين الى الترجيح بانها هي الملكة بلقيس العربية اليمنية

اما تسميتها «سبا» ولطلاق اسماء عجمية على جميع الاشخاص في هذه الرواية فذلك لم يكن الا اعتبارا واتباعا لشركة فوكس السينماتوغرفية التي عرضت رواية باسم «ملكة سبا» في الصور المتحركة والتي منها اخذنا فكرة وضع هذه الرواية بالعربية

تمهيد

وشاخ داود ملك اسرائيل بعد ان شيد لشعبه مجدا تحدثت به امم الارض وضعف جسده حتى انهم كانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفا

وكان بنو اسرائيل على احر من الجمر ليعرفوا من يملك بعده لانه كان له نساء كثيرات ولدن له اولادا غير ان اسمين كانا يدوران على السنة الشعب بكثرة وهما ادونيا بن حجيث وسليمان بن بثشبع التي كانت قبلا امراة اوريا الحثي وكان ادونيا ذا مطامع كثيرة فحدثته نفسه بالملك لا سيما وقد كان اكبر من سليمان سنا فتامر مع يوآب القائد وابيثار الكاهن واعد لنفسه مركبات وفرسانا ورجالا يجرون امامه ونادى بنفسه ملكا على اسرائيل

فاخبر ناثان النبي بتشبع ام سليمان بالامر وكان داود قد وعدها بان سليمان ابنها يملك بعده فذهبت بثشبع حالا الى الملك داود واخبرته بما فعل ادونيا فاجاب الملك وقال حي هو الرب الذي فدى نفسي من كل ضيقة فانني كما حلفت لك بالرب اله اسرائيل ان سليمان ابنك يملك بعدي وهو يجلس على كرسي عوضا عني كذلك افعل هذا اليوم وامر الملك صادوق الكاهن وناثان النبي ان ياخذا سليمان الى جيحون ويمسحاه ملكا فاخذاه واركباه بغلة ابيه داود وصب صادوق الكاهن قرن الدهن على راسه ونادى به

ملكا فرضي الشعب بذلك وهتفوا فليحي الملك سليمان وكانوا يضربون بالناي ويهللون فرحين حتى انشقت الارض من اصواتهم ·

فلما سمع ادونيا بالامر وراى ان الشعب لم يعضده خاف ان يقتله سليمان انتقاما منه فهرب وتمسك بقرون المذبح ولكن سليمان دعاه اليه وامنه على نفسه بعد ان حلفه ان لا يتامر عليه فيما بعد فرجع ادونيا الى بيته غير ان الحقد والحسد لم يفارقا قلبه

واشتد الضعف على الملك داود فمات ودفن في اورشليم بعد ان ملك على اسرائيل اربعين سنة فجلس سليمان على كرسي المملكة واحبه الشعب فتوطدت اركان ملكه · وتراءى الرب لسليمان في حلم ليلا وقال له اسال ماذا اعطيك فاجاب سليمان انك قد فعلت مع ابي داود رحمة عظيمة ووطدت كرسيه على مملكة اسرائيل اما انا فاني فتى صغير في وسط شعب كبير لا يحصى ولا يعد فاعطني قلبا فهيما لاحكم على شعبك واميز بين الخير والشر

فحسن هذا الكلام في عيني الرب وقال له بما انك سالت هذا الامر ولم تسال لنفسك اياما كثيرة ولا قوة ولا غنى فها انا فاعل حسب كلامك فاعطيك قلبا حكيما ومميزا حتى انه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك واعطيك ايضا ما لم تساله غنى وكرامة حتى انه لا يكون رجل مثلك في الملوك كل ايامك

وقام الله بوعده مع سليمان فعظم وخافته الملوك وقدموا له افخر الهدايا من ذهب وحجارة كريمة وكانوا ياتون اليه

من جميع الشعوب ليسمعوا اقواله ويتعلموا من حكمته
اما ادونيا فكان يزداد حسدا وحقدا من يوم الى اخر ولم يكن خضوعه لاخيه الملك سليمان الا حيلة تساعده على مراقبة الحوادث في المملكة حتى اذا حانت له فرصة للانقلاب على اخيه انقلب عليه وانتزع الملك من يده

الفصل الاول

يعتقدبعض المؤرخين ان مملكة سبا كانت في القسم الشرقي من القارة الافريقية اي حيث هي الحبشة اليوم تقريباً ولكن التنقيب المستمراثبت انها كانت على شاطئ البحر الجنوبي من بلاد الفرس اي شرقا من مدخل خليج المعروف اليوم بخليج العجم وكانت قبلا تابعة لمملكة بابل العظيمة

وكان شعبها نشيطا متقدما في العلوم والفنون فلم يطيقوا ان يرضخوا لبابل طويلا فثاروا وخلعوا عنهم النير الاجنبي واسسوا مملكتهم في سنة ١٥٤٦ قبل المسيح

اما في العصر الذي استلم فيه سليمان الحكيم زمام الملك على اسرائيل فكان الحاكم على مملكة سبا جبارا عنيدا اسمه عرمود اغتصب الملك اغتصابا من العائلة المالكة بقوة سيفه وشدة بطشه وكان الشعب يخافه خوفا عظيما نظرا الى ما اشتهر به من القساوة الوحشية والظلم الفاحش

وكان عدا ذلك رجلا دنيئا في شهواته الجسدية فيرسل جنوده واعوانه الى كل انحاء المملكة ليفتشوا له عن العذارى اللواتي تفوقن على غيرهن بالجمال وكلما وجدوا فتاة جميلة ارغموها على الذهاب الى قصر الملك غير مبالين بدموعها السخينة ولا بتوسلات ابيها وتفطر قلب امها

ولم يكن قصد الملك عرمود التزوج باولئك العذارى

التاعسات مع ان العادة كانت شائعة حينئذ باتخاذ زوجات كثيرات ولكنه كان يرغم الفتاة على السكنى معه ارضاء لعواطفه السافلة فاذا قضى وطره منها قتلها او طردها من القصر فاما ان تنتحر او ينزل بها عارها الى قاع الذل والتعاسة وهكذا فلم تكن ام في مملكة سبا الا وفي قلبها حرقة على عذراء اختطفت من بين ذراعيها او رعدة مما تخبئه الليالي لابنتها وما يضمره الملك واعوانه وجنوده

اما الرجال فمع نقمتهم الشديدة على الملك وتململهم تحت نيره لم تكن لهم الجراة الكافية للاعتراض على احكامه او القيام بثورة لان القوة العسكرية كانت اقوى من ان يسحقها شعب عامي منصرف بكليته الى الزراعة والصناعة والتجارة والفنون ولا قام بينهم وقتئذ مقدام جسور ينفخ فيهم روح الاستبسال ويقودهم لسحق الظلم والاستبداد محببا اليهم الموت في سبيل صيانة اعراض العذارى ورفع الضيم عن عائلاتهم وبلادهم

هذه رواية مثلها التاريخ مرارا على مسارح مختلفة وكانت سبا من اشد البلاد تعاسة في مشاهدة هذا التمثيل

ولكن لكل ليل دامس فجرا لامعا يتلوه

ومهما تلبدت الغيوم فهناك شعاعة من النور

ومهما ابكت الخطوب فهناك ابتسامة الامل

والامل لم يمت في صدور شبان سبا بل كان لسان حالهم

نعلل النفس بالامال نرقبها

ما اضيق العيش لولا فسحة الامل

اما الشيوخ فكانوا يديرون وجوههم نحو البحر ويقولون متاوهين هناك ودعنا مجدنا وبين الامواج توارت سعادتنا

الفصل الثاني

بدات الشمس بلم اذيالها الذهبية عن مدينة سبا العظيمة ولم تبال بقصر الملك الفخيم وحدائقه الغناء ولا بابراج المدينة المنيعة وعظمتها الفنية بل سارت بعظمة الالهة نحو البحر حيث تهمس الامواج كلمات الحب في اذن الافق. وقبل ان يحجبها قناع الليل السحري اطلت على بيت حقير بالقرب من شاطئ البحر وارسلت اليه ابتسامة تحيي الامل في قلوب اليائسين

وكان امام البيت شيخ جليل تدل ملامحه على الانفة والعظمة الممزوجتين بمرارة العيش والى جانبه فتاة لا تتجاوز السابعة عشرة من سني حياتها بيضاء الوجه حمراء الخدين وشعرها الذهبي الطويل منسدل على كتفيها . وكانا يراقبان الشمس وهي تتوارى تدريجا وراء الافق فلما غابت تنهد الشيخ تنهد الحزين وخاطب الفتاة بحنو قائلا

— اين اختك يا نوميس

— اظنها على الصخور تراقب الامواج وتحدق في الفضاء كعادتها منذ خلوتكما معا في الاسبوع الماضي ويظهر ان ما دار بينكما من الحديث حين الخلوة هو السبب في

كابتها واسترسالها العميق في التفكرات فهي بها قبل ذلك مثال السرور والانشراح فما الذي قلته لها يا ترى فغير حالتها .. الا تخبرني يا خالي بنعال

فاطرق الشيخ براسه قليلا كانه يريد جمع قواه الفكرية ثم التفت الى نوميس وقال بصوت يتمثل فيه الحنان الممزوج بالالم

ــ نعم انا كنت السبب في ما طرا على اختك سبا من الانقلاب غير انني فعلت ما فعلت قياما بالواجب لا غير فقد اخبرتها بامور هامة تتعلق بكما كان بودي اظهارها لها قبل الان ولكنني كنت ارغم نفسي على الكتمان نظرا لما عهدته فيها من شدة الاحساس وعظمة النفس . ومما كان يزيدني الاما هو انها كانت تقص علي احيانا امورا حقيقية علقت بذهنها منذ حداثتها وهي تحسبها تصورات، واخيرا لم اطق صبرا فاخبرتها بما حسبته من نوع الواجب، ولو لم تكوني صغيرة وضعيفة شديدة التاثر لما تاخرت عن اخبارك ايضا

ــ ولكنك بهذا الكلام قد شوقتني كثيرا لمعرفة ذلك السر يا خالي بنعال فارجو منك اخباري بكل شيء فاني لست طفلة ولا اختي سبا اقوى مني

ــ يا لك من فتاة شجاعة يا نوميس وهذا ما يسهل علي القيام بواجب ايقافك على ذلك السر الهام، انما احذرك قبل ابتدائي بالكلام من تاثيره عليك فتشجعي يا فتاتي المحبوبة

ــ اعدك بالتجلد يا خالي فلا تخف علي



ـ اذن فتعالي نجلس لاني ضعيف لا أستطيع الوقوف طويلا

فامسكت نوميس بيدهوجلست واياهعلى صخرة بجانب البيت منحوتة على شبه مقعد وبدا الشيخ بنعال بالحديث فقال

ـ اتذكرين شيئا عن ايام حداثتك يا نوميس

ـ كلا يا خالي فلا اذكرشيئا سوى انك كنت تلاعبني على شاطىء البحر وتساعدني على جمع الاصداف

ـ ولكن الم تسائلي نفسك مرة ما لماذا نحن عائشون هنا بعيدا عن المدينة العظيمة

ـ كلا يا خالي اذ لا شيء يلذ لي كمشاهدة الامواج تتدحرج على الشاطىء والركض حافية القدمين علىالرمل والتمتع بمنظر غروب الشمس ومع اني ذهبت معك مرتين الى المدينة العظيمة فلم ار هناك ما يلذ لي

فابتسم الشيخ بنعال ابتسامة ضعيفة واجاب

هذا يخفف عني قليلا من الم ما ساقصه عليك فاسمعي

ـ منذ خمس عشرة سنة كان الحاكم على مملكة سبا العظيمة ملكا شريفا عادلا اسمه باثان محبا لوطنه محبة عظيمة حتى انه سمى اولابنة ولدت له «سبا» كاسم بلاده التي احبها كثيرا

ـ دعاها سبا !

ـ نعم يا عزيزتي .. كاسم اختك تماما ... دعيني اكمل حديثي

ولكن لسوء حظ الملك باثان لم يولد له بمولود ذكر

يرث الملك عنه وكان له اخوان غير محبوبين من الشعب نظرا لما كانا يرتكباه من الاعمال المنكرة . وكان الملك عرمود الحالي قائدا عاما لجيوش سبا رقاه الملك باشان الى هذا المنصب مكافاة له على ما ابداه من الشجاعة في محاربة الاعداء الذين حاولوا قهرنا والتملك على بلادنا

ولما كان الملك باشان بلا ابن يرث الملك عنه كانت مطامع عرمود تحبب اليه اغتصاب العرش قبل ان يتمكن الملك من اقناع الشعب على تمليك احد اخويه . فتامر مع روءساء الجيش ووعدهم بالمكافاة الكبيرة اذا هم ساعدوه على بلوغ امانيه

ولم يكن للملك باشان سوى زوجة واحدة خلافا للعادة التي تمشي عليها غيره من الملوك ولمحبته العظيمة لها لم يشا ان يتخذ لنفسه زوجة اخرى او زوجات مع ان المقربين اليه نصحوه مرارا بذلك موءملين ان يولد له صبي وهذا ما دفع عرمود الى الطمع في العرش

ففي ذات يوم بينما كان الملك في حفلة اقامها لبعض الاشراف دخل عليه عرمود وبعض روءساء الجيش وطلبوا اليه ان ينزع التاج عن راسه ويسلمه الى عرمود ويتنازل عن العرش له ولما ابى ان يفعل ذلك خرجوا الى خارج القصر وامروا جنودهم بالهجوم والايقاع بالملك، ولم يكن لدى الملك من يدافع عنه سوى شرذمة قليلة من الحراس المخلصين فاضطر الى الهرب من باب سري مع امراته واخويه

ــ وماذا جرى لابنته سبا ؟

ـ ارى انك لم تنسيها ... كانت في حديقة القصر تلاعب اختها الصغرى فلما بدا الجنود بالهجوم على القصر سالت الملكة اخا لها كان بجانبها ان ينتشل البنتين من الخطر المحدق بالملك وعائلته ويهرب بهما الى هذهالجهة من البحر ويختبئ معهما في هذا البيت المهجور الى ان تنتهي المعركة وكان امـل الملكة ان يعـصى قسم مـن الجيش اوامر عرمود وينضموا الى الملك. فيحل بعرمود الدمار

فاطاع الاخ امرها واحضر البنتين ـ سبا واختها ـ الى هذا البيت المهجور

ـ الى البيت الذي نسكنه نحن! .. منذ خمسة عشرة سنة ... ويلاه.. انك ترعبني بحديثك يا خالي... ولكن اخبرني ... قلت ان البنت الكبرى كانت تدعى «سبا» ولكنك لم تخبرني باسم الصغرى ...

فتوقف الشيخ هنيهة مجاهدا كي يملك عنان نفسهوعض على شفته من التاثر واجاب بارتباك جرب ان يخفيه

ـ من غريب الصدف ان الصغرى كانت تدعى نوميس

ـ كاسمك تماما

ـ الكبرى سبا ... والصغرى نوميس ... امن الممكن ان .... اكمل.. اكمل قصتك

ـ اما الملك فقد اضطر الى الفرار كما ذكرت سابقـا وساعده على ذلك اثنان من الاشراف احباه حبا عظيما اسم احدهما منطور واسم الاخر طمران

ـ منطور ... اهو ذلك الصديق الذي يزورنا منحين

الى اخر ... وطمران .. من المستحيل ان يكون هو ذلك الشاب الذي زارنا ثلاث او اربع مرات برفقة منطور

— لقد اصبت يا عزيزتي فان صديقنا منطور هو بعينه الذي ساعد الملك على الفرار اما الشاب طمران فهو ابن طمران الذي ذكرته لك وقد مات مضحيا حياته في سبيل نجاة الملك وعائلته . ولكني ارجو منك ان لا تقاطعيني كثيرا فاسمعي تتمة القصة

وكان الملك لابسا تاجه وقت الفرار وحاملا صولجانه لانه كان في الحفلة حينما هجم عرمود ورجاله على القصر فاضطرته المفاجاة الى الهرب بثيابه الرسمية وتاجه وصولجانه وظن الهاربون انهم اذا ركبوا قاربا وتوغلوا في البحر الى ان يجن الليل تمكنوا من الرجوع الى الشاطئ تحت جنح الظلام فياخذون البنتين وخالهما الى مكان امين ولكن الاقدار شاءت ان تثور عاصفة قوية في ذلك المساء فقلبت القارب واغرقت من فيه وهكذا غدا اخر ملوك سبا طعاما للاسماك وانطمر تاجه وصولجانه في قاع البحر وماتت الملكة التاعسة وفي قلبها حرقة لمشاهدة ابنتيها سبا ونوميس

ولم يكد ينتهي الشيخ بنعال من حديثه حتى اخذت نوميس بالشهيق والبكاء وهي تقول مسكين ابي .. .. مسكينة امي

فضمها الشيخ الى صدره بحنو شديد واخذ يقبل شعرها ويقـول

— نعم يا نوميس .. لقد اصاب ظنك فانت وسبا ابنتا ذلك الملك المنكود الحظ، وانا اخو الملكة الذي انتشلكما

من الخطر ، ولكن يجب ان تتجلدي قياما بوعدك لي قبل ابتدائي بالخبر والا فانك تزيدين عيشي مرارة بهذا النحيب

وكانت سبا الاخت الكبرى مقبلة نحوهما راجعة من جهة البحر فلما رات اختها نوميس مرتمية على صدر الشيخ بنعال تبكي ركضت وسالت الشيخ بلهفة

— ماذا جرى لها يا خالي

— لقد.. اخبرتها، وغص من شدة التاثر فسكت والدمع يجول في عينيه واطرق براسه الى الارض

اما سبا فضمت اختها الى صدرها واخذت تقبلها وتخفف من لوعتها برقيق الكلام ، ولولا خوفها على نوميس مما قد ينتج من الضرر عن عظيم الانفعال لشاركتها في النحيب والدموع ، ومن لا يبكي في موقف كهذا، ولكن الطبيعة خصت سبا بقوة عظيمة من الانفة والجلد والصبر قلما تظهر في النساء ولذا استطاعت كبح جماح عواطفها امام اختها الصغرى وتمكنت اخيرا من تعزيتها قليلا وطوقتها بيمناها وادخلتها الى البيت

وكان الظلام قد ارخى سدوله فاشعلت سبا سراجـا وجلست الى جانب اختها تقص عليها ما يخفف من لوعة الحزن

اما الشيخ بنعال فبقي خارجا يحدق في خيال القمـر المتكسر على الامواج وهو صامت كانه اصيب ببهتان ، واخيرا وقف دون ان يحيد ببصره عن الماء وقال بصوت ضعيف متهدج

الاب والام مضطجعان في البحر والابنتان تراقبانهما

عن الشاطىء ٠٠٠٠ لوعة دائمة وفراق ابدي ٠٠ فتبا لك ايها الدهر الغادر

واثنى متجها نحو البيت ولكنه قبل الدخول توقف هنيهة ومسح دمعتين عن خديه وصعد زفرة انضمت الى ولولة الريح وعويل الامواج

الفصل الثالث

مضى الليل بعد ان مسح دموع نوميس بانمله اللطيفة وكحل مقلتيها بالكرى فنامت، وللصباقوة على التمتع بالنوم تنحسر عليها الشيخوخة وتندحر امامها القوات المكــدرة حتى الحزن

اما سبا فالبرغم من صباها لم تنم الا قليلا في تلك الليلة لان تاثرها من بكاء اختها واسترسالها هي في التفكير سلطا عليها الارق، ولما اطلت شمس اليوم التالي على البحر من وراء ابراج المدينة العظيمة كانت سبا واقفة على قمة تل من الصخور يبعد قليلا عن البيت وهي تتامل البحر بعينين سوداوين جامدتين

وكان هواء الصباح البارد يلثم خديها فيزيدهما احمرارا، ويلاعب شعرها الاسود البراق المتموج المنسدل على كتفيها وظهرها ، ويضغط على ثوبها الابيض الرقيق فتظهر تحته قامتها الهيفاء وتقاطيع جسدها الخلاب بجماله وكماله ٠ اما وجهها فكان الجمال ممثلا تعلوه كابة لم تكن الا لتزيد جمالها جلالا

وكأن سبا تعبت من طول الوقوف على الصخرة

العالية، او احست بما يجذبها الى حيث تتكسر الامواج، فاخذت تقمز نزولا من صخرة الى اخرى حتى وصلت الى الاسفل وهناك انتقت صخرة ملساء لا تعلو عن الماء الا قليلا واتكات عليها واخذت تحدق تارة في الماء وطورا في الفضاء متنهدة بين كل اونة واخرى

ولو التفتت صبا الى الوراء ، الى حيث كانت على القمة، لرات هناك كهلا وشابا واقفين يراقبانها وكل ممسك بعنان جواده، ولو تمكنت من النظر الى عيني الشاب لقرات فيهما

اقـدم قلبي للغـرام ذبيحـة
واحرق نفسي في مبـاخر انفاسي

ول وترك الشاب الى نفسه لظل واقفا هناك يتاملها ولم يتزحزح عن مكانه غير ان الكهل قطع عليه تاملاته بقوله

ــ ليس الوقت وقت هيام وعواطف يا طمران فلنسرع لزيارة الشيخ بنعال كي استطيع الوصول الى المدينة قبل غروب الشمس والا غضب الملك عرمود علي لتاخري بالمثول بين يديه

فتنهد طمران تنهدا عميقا ورمق الفتاة بنظرة كادت تلتهمها التهاما ومشى تابعا رفيقه الى الطريق جارا جواده خلفه ، ولكنه لم يسر بضع خطوات حتى التفت الى الكهل قـائلا

ــ لا تلمني يا منطور فانني احبها حبا مبرحا مع اني لم ارها الا اربع مرات ولكنني كتمت الحب في قلبي ولم ابح به لاحد سواك وسا كتمه ما بقيت حيا الا اذا بدا لي منها انها تحبني ايضا ، وسواء احبتني او لم تحبني فانني قد اخذت

على نفسي عهدا بان اكون حارسا لها من المخاطر ساعيا في ما يعود عليها بالخير باذلا حياتي في سبيل سعادتها ، وكما كان ابي محبا لابيها ومخلصا له حتى الموت هكذا اكون انا معها

فبدت على وجه منطور علامات السرور والاعجاب بهذه العواطف الشريفة واجاب قائلا

ـ يا لك من شاب شريف كابيك يا طمران ، ومع فخري العظيم بكوني مربيك ومدربك فالحقيقة هي انني لم افعل شيئا سوى مساعدتك على اظهار الصفات الحميدة التي ورثتها عن ابيك ـ ذلك الصديق الحميم الذي مات بين ذراعي وهو يقول ٠٠ اوصيك بابني فعلمه ان يعيش شريفا ويموت شريفا

ـ ساجرب ان لا اخيب امل ابي يا منطور ، وانه وان يكن قد مات منذ خمس عشرة سنة فانني اشعر كان روحه تقودني دائما الى كل ما هو شريف ٠٠٠ انني لا اذكر عنه سوى انه كان يلاعبني كلما اتى الى البيت، وعلى الاخص بعد موت امي ٠٠٠ ولكنني لا اذكر شيئا عن تفاصيل موته ولا انت اخبرتني بها

ـ خفت ان اذكر لك التفاصيل لان فيها سرا خطيرا وكنت صغير السن فلم اثق بك فاطلعك عليها، اما وقد برهنت لي عما في قلبك من عظيم الشرف وما تخصني به من المحبة والاعتبار فلم يبق ما يمنعني عن ايقافك على تفاصيل موت ابيك وما يتعلق بها من الاهمية ٠٠ ولكن ارى اننا

اقتربنا من بيت الشيخ بنعال فلنمش على مهل واسمع ..

عندما هجم عرمود وجنوده على القصر واضطر الملك باشان الى الهرب مع زوجته واخويه كان ابوك اول من خرج من القصر وركب جواده قاصدا البحر ليهيء قاربا للنجاة وشاء القدر ان يراه احد جنود عرمود فرماه بنبلة اصابته في جنبه الايسر وغرزت فيه غير ان اباك انتزع النبلة من جنبه وظل راكبا على جواده سائقا نحو البحر بالرغم من جرحه والامه وتبعه الملك وعائلته بعد قليل وكنت انا في المؤخرة حاميا لظهورهم

ولم ينتبه المهاجمون الى هرب الملك حتى كنا قد بعدنا عن القصر كثيرا . فبعدما هيا ابوك القارب وساعد الملك على النجاة لم يعد يستطيع الوقوف من شدة الضعف الذي طرا عليه عن نزيف دمه فوقع الى الارض، واذ ذاك سمعنا وقع حوافر خيل تدنو منا فاستنتجنا ان الجنود عرفوا بهربنا ولحقونا فاستللت سيفي وعولت على الدفاع حتى الموت غير ان اباك نظر الي وقال بصوت يتمثل فيه نزاع الموت—

منطور ... انني مائت لا محالة ... فاقتلني وارحني من عذابي وقل لعرمود .. انك ادركتني اساعد الملك على الفرار فقتلتني فتريح نفسك من عناء مقاتلة الجنود وتنجو من الهلاك وتنال حظوة في عيني عرمود لا سيما وهو لم يعرف بفرارك مع الملك باشان ... فعجل واقتلني ... اقتلني ...

فاوقفته عن حديثه وقلت له انا كما عشنا معا هكذا ينبغي ان نموت معا ، ووقفت انتظر ظهور الجنود المطاردين، ولكن

اباك غافلني وطعن نفسه بسيفه فلم انتبه الا وهو يقول ٠٠

لقد قتلت نفسي فقل انك قتلتني ٠٠٠ اوصيك بابني فحبه كما احببتني ٠٠وعلمه‌ان يعيش شريفاويموت‌شريفا

واسلم الروح وهو ينظر الي ويبتسم ٠٠٠٠ وما هي الا دقيقة حتى ظهرت الجنود وفي مقدمتهم عرمود فلما راني واقفا بجانب جثة ابيك وسيفي في يدي‌سالني من القتيل ، فتذكرت كلام ابيك واجبته هذا طمران الذي ساعد باشان على الهرب فلحقته وبطشت به اما الملك فلم اتمكن من لحاقه ٠ فقال لي عرمود

ولكنني اعهدك مواليا لباشان فما الذي‌غير قلبك عليه

فاضطررت للالتجاء الى الحيلة وقلت انني لم احب باشان في حياتي ولم يكن حبي الا تظاهرا فقط خوفا من بطشه

فانسر عرمود من كلامي وقال لي اركب جوادك وكن على يميني ، ورجعنا الى المدينة بعد ان رمى الجنود جثة ابيك الى البحر

وكنت انت ولدا صغيرا فاخذتك الى بيتي وربيتك كابني لانني لم ارزق ببنين ومن ذلك الحين وانا اعمد الى‌الحيل حتى اكسب ثقة عرمود واترقب الفرص للاخذ بثار ابيك وثار الملك باشان فقد احببتهما كليهما كثيرا

وعند انتهاء منطور من القصةاغرورقت عيناطمران بالدموع وقال بصوت يخنقه الانفعال

ــ مسكين ٠٠٠٠ مسكين ابي ٠٠٠ حقا انه كان شريفا

ــ املك عنان نفسك يا طمران ولا تستسلم للانفعال٠٠ ارى اننا اشرفنا على‌البيت فتجلد ولا تنس انك شجاع‌باسل

الفصل الرابع

صبحت نوميس من نومها ذلك الصباح متاخرة فنهضت من فراشها حالا وخرجت لتراقب شروق الشمس كعادتها في كل صباح ولكنها لم تظفر بامنيتها لا ن الوقت كان الضحى

ورات خالها جالسا وحده امام البيت مستغرقا في تاملاته فتقدمت اليه وطوقته بذراعيها وقبلت شعره الابيض بحنان عظيم وقالت له

ـ اني اراك وحيدا فاين سبا ؟

ـ لم ارها هذا الصباح وقد ظننت انها معك في الغرفة

واذا ذاك حانت من نوميس التفاتة الى جهة الطريق فرات رجلين مقبلين نحو البيت يجران وراءهما جوادين فتبينتهما فاذا بهما منطور وطمران فدلت خالها عليهما فخف لاستقبالهما معها بالرغم من ضعفه الجسدي وثقل خطواته ، وما هي الا برهة وجيزة حتى طوقهما بذراعيه وقال والدمع يجول في عينيه

لقد ارجعتكما الاقدار الي بعد هذا الفراق الطويل فاين كان الغياب

فابتسم منطور ابتسامة كانت طمانينة لقلب الشيخ واجاب

ـ كنت في سفر طويل امرني به الملك وقد اخذت طمران معي رفيقا ، وساقص عليك التفاصيل بعدما استريح قليلا ، ولكن ما لي لا ارى نوميس فرحة طروبة كعادتها

ـ ذلك لانني اخبرتها بحقيقة امرها مساء البارحة

ــ وهل اطلعتها على كل شيء

ــ نعم٠٠ على كل شيء

ــ وهل اخبرت سبا ايضاً

ــ نعم ٠٠ لقد اوقفتها على الحقيقة قبل نوميس

فهز منطور راسه قليلا والتفت الى طمران قائلا

ــ اذن فلا عجب اذا لم ترنا سبا وظلت غارقة في تاملاتها

فتنبه الشيخ بنعال عند ذكر اسم سبا وقال

ــ العلكما رايتماها ٠٠ لقد تركت البيت قبل طلوع الشمس على ما يظهر ولم ترجع بعد

فاجاب طمران

نعم رايناها جالسة على صخرة هنالك عند اسفل التل ولم نشا مناداتها لانها كانت غارقة في تاملاتها

فقالت نوميس

ــ لقد عرفت المكان فاجلسا واستريحا بينما اذهب انا لادعوها

ومشت نوميس متجهة نحو الصخور،وربط طمران الجوادين بقرب البيت، وجلس الثلاثة ووجوههم تتدفق سرورا من لذة اللقاء

وبدا منطور بالحديث فقال مخاطبا الشيخ

لقد اوصيت عبدي عوليس قبل سفري بان يخدمكم ويتفانى في سبيل راحتكم فهل فعل ذلك ؟

ــ نعم فعل ذلك واكثر فيا له من عبد امين ، وقد ذهب مساء البارحة الى المدينة لقضاء حاجات لنا واتوقع رجوعه

قبل ان يتناصف النهار ، وتلك الخيمة التي تريانها بجانب البيت هي خيمته . اما عن قوته الجسدية فحدث ولا حرج فهو الذي نقل كل الصخور التي كانت بجانب البيت ورماها الى الشاطئ فصير هذه الفسحة من الارض سهلا جميلا . ولكم رايته يحمل من الاثقال ما يعجز عن حمله حتى الجمل

واذ ذاك وصلت سبا ونوميس فوقف منطور وطمران وانحنيا باحترام وبادلا سبا التحيات وخاطبها منطور قائلا

ــ اسمحي لنا من الان فصاعدا ان نخاطبك كاميرة و كذلك انت ايضا ايتها الاميرة نوميس لان ...

فقاطعته نوميس قائلة

ــ ارجو ان لا يدعوني احد بهذا اللقب فان اسم نوميس مجردا عن اللقب لاحلى لدي من لقب اميرة بل من كل الالقاب . ما رايك يا اختي سبا

ــ لا الومك على اختيارك اسمك العادي يا اختي ففيه من التذكارات الحلوة ما يبعث الى القلب راحة وهناء ، ولكنني اخالفك فاختار اللقب على ما فيه مما يهيج الاحزان ويثير الاشجان ، لا حبا بلقب اميرة ولا تفضيلا على اسمي العادي ، بل لانني بالرغم من كوني فتاة قد اخذت على نفسي عهدا بان اخذ بالثار من عرمود المغتصب الظالم . فادعني الاميرة سبا يا منطور و كذلك انت يا طمران فاتذكر كلما دعيت بهذا اللقب ان علي واجبا مقدسا

و كان طمران واقفا مذ وصلت سبا وهو ساكت ساكن كانه صنم ، غير انه لما سمع سبا تتكلم بحماسة الابطال تقدم اليها وانتصب كما ينتصب الجندي امام قائده وقال

ـ أيتها الاميرة ٠٠ عندما تاتي ساعة الانتقام من ذلك الظالم عرمود فاعلمي اني على استعداد لتضحية حياتي في سبيل ما تامرين به

وتبعه منطور بالحديث فقال

ـ سيدتي الاميرة ٠٠ انني وان اكن اقل حماسة من طمران نظرا الى تقدمي في الايام فاعلمي ان هذا القلب الذي خدم اباك بمحبة وامانة لهو رهن اشارتك، انما لي رجاء واحد وهو ان نتخذ التروي والرزانة والتكتم في جميع اعمالنا والا تقطعت الامال وحل بنا الويل والدمار

ـ انني لواثقة من محبتكما واخلاصكما يا منطور وطمران ولا ادري كيف استطيع مكافاتكما ، اما امالي فاعظم من ان توصف ولو اخبرتكما بكل ما طرا علي منذ وقوفي على هذه الحقيقة الهائلة لحسبتماني من المجانين ٠٠ اذهب كل صباح واقضي معظم نهاري جالسة على صخرة احدق في مياه البحر ، لا شغفا بمراقبة الامواج على ما فيها من الجمال بل لاراجع في مخيلتي الحوادث التي ادت الى غرق ابي وامي، ولكم توهمت ان الامواج تقول بهديرها خذي بالثار وعند انتباهي الى نفسي اراني فتاة ضعيفة فاصعد زفرات المغلوب وتنهدات المستسلم الى القضاء ٠ غير انني في هذا الصباح رايت بعيني ما غير افكاري وبدد ياسي وجدد عزمي وامالي، فبينما انا جالسة على الصخرة احدق في الماء رايت سيفا من لهيب بارزا فوق الامواج يتلوى كالثعبان وظهرت يد كتبت فوقه بحروف نارية «خذي بالثار ٠٠ خذي بالثار» فحسبت نفسي حالمة في بادىء الامر وفركت عيني لاثق

من نفسي ، ولكنني لم اكن في حلم والسيف كان هناك حقيقة ٠٠ ثم اخذ بالتقلص رويدا رويدا حتى اختفى، فشعرت اذ ذاك بان روحا خفية تدفعني الى تخليص مملكة سبا من مخالب ذلك الوحش الضاري عرمود، فما رايك في هذه الروءيا يا منطور

ــ رابي هو ان تنسي كل هذه الامور الان فالوقت لم يحن بعد لتحقيق امالنا ،فتعالي نجلس لاقص عليكم شيئا عن سفري الذي انتهى اليوم ففي ذلك ما ينسيك الهموم والاحزان

ــ نعم حدثنا يا منطور فانني اعشق قصص الاسفار

فجلس الجميع وبدا منطور بالحديث فقال

ــ اريد ان اخبركم اولا انني صرت مستشار الملك وقد رقاني عرمود الى هذا المنصب مكافاة لي على «اماتني واخلاصي» له

فضحك الشيخ بنعال وقال

ــ لو كان كل الامناء والمخلصين له نظيرك لما كان عرمود اليوم رافلا في نعمائه

وزادت نوميس عليه فقالت

ــ ولا كنت اخاف كلما رايت جنديا مارا على الطريق

فضحك لها منطور وتابع حديثه فقال

ــ ولما كان الملك عرمود بلا زوجة حتى الان لانصرافه الى القصف واللهو سالني بصفتي مستشاره ان اذهب واخطب له الاميرة وشتي ابنة ملك الاموريين فقد بلغه انها على جمال عظيم فذهبت واتممت رغبته وبينما انا هناك قص علي ملك الاموريين شيئا عن مملكة اسرائيل وعظمتها وسالني

الذهاب معه لزيارة الملك في اورشليم، فقبلت دعوتـه وذهبت معه لارى ما وصفه لي من امجاد الملك سليمان واسمع حكمته التي تحدثت بها مشارق الارض ومغاربها

وعند وصولنا الى اورشليم راينا الشعب جماعات جماعات على الطرقات ، تارة يتهامسون وطورا يضجون ، فسالنا عن السبب فقيل لنا ان الشعب ناقم على الملك سليمان لاتخاذه الاميرة اماراس ابنة فرعون ملك مصر زوجة له

وقد خامرني شك في اخ لسليمان اكبر منه يدعى ادونيا فقد رايته مرارا يهمس في اذان الجنود والقلق ظـاهر على وجهه وعـلمت انـه مبغض لسليمان لانه فاز عليه بالجلوس على كرسي المملكة فلا يبعد ان يكون هو الـذي اثـار الخواطر ضد الملكة اماراس

اما الملك سليمان فانه ترحب بنا واكرم وفادتنا وارانا من صنوف المجـد والجلال مـا سلب عقولنا وضعضع افكارنا ولا غرو في ذلك فهو متسلط على جميع الممالك من نهر الاردن الى ارض فلسطين والى تخوم مصر وياتيه كل يوم من هدايا الفضة والذهب والحلل والسلاح والاطياب والنوق والخيل والبغال ما لا يحصى ولا يعد . وحدث انني رايت يوما ما اتى للملك طعاما لبيته لليوم الواحد فكان ثلاثين كر سميذ وستين كر دقيق وعشرة ثيران مسمنة وعشرين ثورا من المراعي ومئة خروف ما عدا الايائل والظباء وانواع الطيور

وبعد وصولنا بيومين اعلن الملك انه قد عين عيدا سبعة ايام احتفالا بانهاء الهيكل العظيم الذي بناه لاله اسرائيل فلما سمع

الشعب بذلك فرحوا فرحا عظيما وهتفوا فليحي الملك سليمان ونسوا الملكة اماراس وبغضاءهم لها

وعند ابتداء العيد اجتمع الى الملك جميع شيوخ ورجال اسرائيل وحمل الكهنة تابوتا يقدسونه وسار الملك والجموع امام التابوت يذبحون من الغنم والبقر ما لا يحصى ولا يعد من الكثرة الى ان وصلوا الى الهيكل ووضعوا التابوت فيه ونحن في دهشة وحيرة مما يجري امامنا

اما الهيكل فمن اعظم ما رات عيناي من البناء طوله ستون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا وكله مغشى من الداخل بذهب خالص

وكذلك ايضا بيت الملك سليمان فان فيه من الجمال والعظمة ما لم نره في بلادنا ، ولو اردت وصفه لكم لانتهى النهار ولم اقل النصف

اما عن حكمة الملك فحدثوا ولا حرج فقد دعانا يوما الى دار القضاء حيث يقضي لبني اسرائيل فكان يحل المشكلات ويقضي في امورهم بحكمة عظيمة بالرغم من صغر سنه فقد ولي الملك وهو ابن اثنتي عشرة سنة وهو الان لا يزيد عن الرابعة والعشرين من سني حياته ، وكم اتمنى لو ان في استطاعتك رؤيته وسماع حكمته ايتها الاميرة سبا

فتبسمت نوميس وقالت

لا تقل لها ذلك يا منطور لئلا تزيد امنية جديدة على امانيها الكثيرة

فاجابت سبا

— من يدري ... فربما اتيح لي يوما ان اراه واسمع

حكمته

فضحكت نوميس ناسية كل ما خامر قلبها من الحزن وقالت

الم اقل لك يا منطور

فطوقتها سبا بذراعيها وقبلتها وقالت

ـ ليتني كنت قنوعة بالحياة نظيرك يا حبيبتي

واذ ذاك وصل عوليس راجعا من المدينة حاملا ما كولات كثيرة جلبها مؤونة للاسبوع فلما راى سيده منطور اسرع اليه وقبل يده فقال له منطور

ـ لقد سرني يا عوليس انك سرت بحسب اوامري وقد عزمت على ابقائك هنا

ـ امرك مطاع يا سيدي ، واذا اقتضى الامر فاني ابذل حياتي في سبيل سيدي وبنمال وسيدتي سبا ونوميس

فقالت نوميس ضاحكة

ـ لا نريد منك حياتك يا عوليس وانما نريد ان تجهز لنا طعاما لاننا لم نا كل اليوم بعد

فتركهم عوليس يتحدثون واسرع فجهز طعاما وا كل الجميع وهم مسرورون من هذا الاجتماع، وعند انتهائهم من الا كل قال لهم منطور

اراني مضطرا الى الرحيل عنكم الان لاتمكن من الوصول الى المدينة قبل غياب الشمس انما احذركما ايتها الاميرة سبا والاميرة نوميس ان لا تبتعدا كثيرا عن البيت لئلا يحظى بكما جنود الملك فيختطفون احدا كما غنيمة باردة لعرمود

فظهرت على الشيخ بنمال علائم الاضطراب وقال

ــ هذا ما يخيفني دائما يا منطور لا سيما وانا عاجزعن الدفاع عنهما لتقدمي في السن

ــ ولكنني حسبت لذلك حسابا ورايت ان يبقى معكم طمران من الان فصاعدا فهو شجاع باسل، عليم باساليب القتال ويستطيع ان يقاوم العشرات من الجنود وحده

ــ هذا راي حسن وسامر عوليس بان يضرب له خيمة فتقدم طمران نحو سبا وخاطبها قائلا

ــ سيدتي الاميرة ٠٠ لقد قبلت مع منطور بالبقاء هنا حارسا لك ولاختك على شرط ان يكون ذلك برضاك وان تكون لك ثقة باما نتي واخلاصي

ــ ولماذا لا اقبل يا طمران او لماذا لا اثق باما نتك واخلاصك ، الست ابن ذلك الشجاع المخلص الذي ضحى حيا ته في سبيل ابي ٠٠

ــ شكرا لك ايتها الاميرة على هذه الثقة وستجدينني معك كما كان ابي مع ابيك

ثم ودعهم منطور وركب جواده قاصدا المدينة ، ولم يكد يغيب عن العيان حتى التفتت نوميس الى خالها الشيخ وقالت

ــ حقا انه صديق جميم يا خالي

فتنهد الشيخ وقال

ــ لولاه لكنا جميعنا في عالم الاموات

وزادت سبا قائلة

ــ ولولا ما اعلق عليه من الامال لتملكني الياس

اما طمران فكان واقفا كالصنم ينظر الى سبا نظرات

الحب الممزوج بالخشوع ولسان حاله يقول
— ولولاك لما كانت لي غاية في الحياة

الفصل الخامس

الحب شقاء كله ، واشقى المحبين جميعا ذلك الذي يكتم حبه في قلبه ويوقف حياته رهينة لاشارة محبوب لم يبادله الحب ، فهو كالسراج الذي يحرق زيته ليبعث النور الى الغير

وهكذا كان شان طمران فانه احب الاميرة سبا حب العابد للمعبود وافتتن بها افتتانا حسبه في بادىء الامر صداقة واخلاصا فالفاه حبا مبرحــا وغراما قاتلا ، ولكنه كان طاهرا في حبه لها ، شريفا في افكاره نحوها ، مضحيا في سبيل هنائها ، واضعا نصب عينيه سعادتها لا ارضاء عواطفه واميالة ، فكان بذلك مثال الاخلاص والامانة والشرف والشهامة

ولكنه لم يبح لها بذلك الحب ، ولا اطلعها على ما في فوءاده من الامال والالام ، لا لانه لم يكن كفوءا لها او لم يستحقها — فلقد كان من خيرة عائلات المملكة شرفا ونسبا وابوه ضحى حياته في سبيل ابيها — بل لانه رغب في حبها له من تلقاء ذاتها ، حبا بالحب ، لا جزاء على جميله او جميل والده

اما سبا فمع ما كانت عليه من ريعان الصبا ، واعتبارها العظيم لطمران وثقتها بشرف نفسه ، لم تصغ لدعوة الصبا

الى الحب ولاحركتها عوامل الغرام ، بل ظلت في شاغل عن ذلك باما لها واما نيها

ومما زادها رسوخا في مطامعها وتمسكا باما لها انها بينما كانت على الصخور يوما كما دتها رات شيئا لماعا يغمره الماء مطمورا نصفه في الرمل، فحركها حب الاستطلاع الى كشف حقيقته فمدت يدها وازاحت الرمل عنه فوجدت لدهشتها تاجا عليه صور ورموز غريبة فحملته وركضت به الى البيت لتريه لخالها . وكان منطور قد قدم زائرا في ذلك النهار فلما راته سبا اسرعت اليه وقالت

انظر ما وجدت على الشاطىء ولكنني لا افهم الصور والرموز التي عليه فهل بوسعك افادتي عنها

فاخذ منطور التاج في يده ولم يكد يتامله حتى ظهرت عليه علائم الاضطراب وقال

ــ لقد عرفته ... لقد عرفته

ــ وماذا عرفت

ــ هذا تاج ابيك فقد كان لابسه يوم هربه من وجه عرمود وقد اعاده البحر اليك بعد هذه السنين الطويلة فاحتفظي به احتفاظك بروحك

ــ تاج ابي ... تاج اجدادي .. تاج مملكة سبا .. واختطفت التاج من يده وتوجت به راسها واخذت تقول

ــ انا ملكة سبا ... انا ملكة سبا .. وهذا تاجي

وهكذا مضى يوم بعد يوم ومحور افكارها الاخذ بالثار من عرمود وزبدة مطامعها استرجاع مملكة سبا غير منتبهة الى ما في فؤاد طمران من نار الحب ولواعج الغرام

غير ان طمران لم يتخذ عدم انتباهها لحبه سببا للتراخي في السهر على سلامتها بل بقي اتبع لها من ظلها، فاذا ابتعدت عن البيت قليلا تبعها عن كثب حارسا ومحاميا . وكانت معرفته باوامر عرمود لرجاله باختطاف الفتيات الجميلات، وبالاساليب السافلة التي يتمم بها الجنود اوامر ملكهم ، تصور له هول الخطر المحدق بسبا ونوميس فيزداد حذرا وسهرا

ولما كانت سبا مولعة بالذهاب كل يوم الى الصخرة التي وصفناها قبلا لتراقب البحر والامواج تعذر على طمران حراسة الفتاتين في وقت واحد فامر العبد عوليس بالسهر على سلامة نهميس حينما يكون هو بعيدا عنها حارس الاختها سبا

وهكذا مرت بضعة اسابيع على مكوث طمران مع الشيخ بنعال والفتاتين ولم يحدث ما يكدر ولكن ...

هي الدنيا تقول بملء فيها
حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم مني ابتســـام
فقولي مضحك والفعل مبك

الفصل السادس

لكل امرء من دهره ما تعود ، ولذا فلم تكن خطبة الملك عرمود للاميرة وشتي ابنة ملك الاموريين لتردعه عن عاداته الخلاعية وامياله السافلة ، بل ظل يوعز الى جنوده باختطاف اية فتاة بارعة في الجمال واحضارها اليه غنيمة باردة

ولما كان منطور مستشارا لعرمود وواقفا على كل اعماله واسراره كان استياؤه شديدا منه وحزنه عظيما على الفتيات التاعسات ، ولكنه لم يشا ان ينصح للملك بالارتداع عن هذه القبائح قاصدا بذلك ان يزداد الشعب كرها له حتى اذا حانت فرصة للثورة والانقلاب على عرمود عضده الشعب في ذلك

ولم يكن الجنود ليخالفوا اوامر ملكهم او يتهاونوا في تنفيذها ، فالشرف عندهم كان التفاني في اطاعة وتنفيذ اوامر الملك غير ملتفتين الى ما ينتج عنها من الذل والشقاء للغيـــر

وحدث ان فئة لا تتجاوز العشرة من الجنود عزمت يوما على الذهاب للتفتيش عن فتاة جميلة ، فقال احدهم

ـ اتذكر انني منذ سنة تقريبا بينما كنت مارا بالقرب من البحر لمحت فتاة بارعة في الجمال ، شعرها ذهبي اللون فلنذهب اليها فان الملك ولا شك يجزل لنا العطاء اذا اتيناه بها فالشعر الذهبي نادر في بلادنا

فوافقه الاخرون على ذلك وركبوا خيولهم متجهين نحو البحر وهم يمزحون ويقهقهون ، وظلوا في سيرهم حتى وصلوا

الى تل يشرف على بيت الشيخ بنعال والبحر فراوا الشيخ جالسا امام البيت والى جانبه نوميس . فلما راها الجندي الذي دلهم على المكان قال هذه هي الفتاة الجميلة بعينها ، الا ترون خصل شعرها الذهبية يلاعبها النسيم

فضحك احدهم وقال لا ياتي الغد حتى يلاعب شعرها الملك عرمود بدلا من النسيم

فقهقه البقية لعبارته وامرهم رئيسهم بالانقضاض فجاة على الشيخ والفتاة

واذ ذاك حانت من نوميس التفاتة نحو التل فرات الجنود واقفين يتشاورون ورماحهم على اكتافهم فارتعدت من الخوف وقالت لخالها

ــ ويلاه يا خالي .. انني خائفة من اولئك الجنود

ــ جنود .. ادخلي واختبئي حالا في البيت واياك والخروج حتى ادعوك

فركضت نوميس حالا ودخلت البيت اما الشيخ بنعال فنادى العبد عوليس ، وكان خلف البيت يقدم علفا لجواد طمران ، فجاءه مهرولا فقال له الشيخ

ــ اترى اولئك الجنود المقبلين نحونا على خيولهم

ــ نعم يا مولاي

ــ انني موجس منهم خوفا ، وطمران قد تبع الاميرة سبا الى الصخور ، فاركض اليه حالا واخبره بالامر ، واذهب من وراء البيت حتى لايراك الجنود

ــ ولكنني اراهم قد اقتربوا كثيرا منا فالاوفق ان ابقى هنا يا مولاي فانا قوي وربما استطعت حمايتك

ـ الكثرة تغلب الشجاعة فاركض حالا كما امرتك

فاطاع عوليس الامر وركض نحو الصخور مفتشا عن الاميرة سبا وطمران

ووصل الجنود الى حيث كان الشيخ بنعال جالسا فخاطبه رئيسهم قائلا

ـ اين الفتاة الشقراء

ـ وماذا تريدون منها

ـ نريد ان ناخذها معنا الى الملك

فانتصب الشيخ واقفا وهو يرتجف من الغيظ وقال ناسيا كبر سنه وضعفه

ـ ارجعوا وقولوا لملككم انني لن اسمح لكم باخذها ما دمت حيا

فلم يجبه الرئيس بل امر اثنين من الجنود بالدخول الى البيت واختطاف الفتاة عنوة . ولما اراد الشيخ ممانعتهم هجم عليه البقية واوثقوه بحبال كانت معهم غير مشفقين على ضعفه وما هي الا دقيقة حتى خرج الجنديان من البيت وهما يجران نوميس غصبا وهي تنادي مستغيثة

ـ سبا .. اختي سبا .. طمران ... سبا

غير ان صراخها لم يمنع الجنود عن اتمام عملهم فوضعها احدهم امامه على ظهر جواده، وطعن اخر الشيخ بنعال برمحه تشفيا وانتقاما لمعارضته اياهم ، وركب الجميع خيولهم وساروا ينهبون الارض نهبا وما هي الا لمحة عين حتى غابوا عن تلك البقعة

واذ ذاك رجع العبد عوليس وبرفقته طمران والاميرة سبا

فوجدوا الشيخ بنعال ملقى على الارض موثقا والدم يسيل من جرحه وهو يئن انين الاحتضار ، فاسرع اليه عوليس واخذ في حل وثاقه ، اما سبا فجثت امامه وهي تشهق بالبكاء وقالت بلهفة يصعب وصفها

ــ خالي ... من فعل بك هذا الفعل .. ابن اختي نوميس

فتح الشيخ عينيه ونظر الى سبا نظرة تمثل فيها الحنان وقال بصوت متقطع يكاد لا يسمع

ــ جنود عرمود ... اختطفوها بعدما اوثقوني ... الحقهم يا طمران

فركض طمران واعتقل سيفه ورمحه ودرعه وامتطى جواده وانطلق وراء الجنود يسابق الريح ، وبقيت سبا بجانب خالها تضمد جرحه .

ولم يطل الوقت حتى عاد طمران وعلامات الخيبة مرتسمة على وجهه فبادرته سبا بالسؤال والدموع منهمة من عينيها

ــ الم تدركهم

ــ لم ار الجنود ولا غبارهم فرجعت لاخذك معي الى منطور فهو مستشار الملك وربما استطاع انقاذها

فلما سمع ذلك الشيخ بنعال التفت الى سبا وقال بصوت لا يعلو عن الهمس

حبيبتي سبا ... لا تهتمي بي ... انا مائت لا محالة . اذهبي مع طمران الى منطور حالا .. قولي له ان يخلصها . اه .. ما هذا العطش الشديد ... اريد ان اشرب ..

فهرول عوليس واحضر له ماء ورفعت سبا راسه واسندته الى صدرها فشرب وعاد الى الكلام مجاهدا كي يرفع

صوته ولكن بلا جدوى

حبيبتي سبا ... خذي بالثار . خذي بالثار .. انني ارى امك امامي وهذا كلامها ... خذي بالثار .. انها تدعوني اليها .. اختي .. انني قادم اليك .. بدات ان اشعر ببرودة الامواج . هاانا ..قا..دم..

ومد يديه وحملق بعينيه كانه يخاطب شخصا امامه، ورفع راسه قليلا محاولا النهوض غير ان قواه خانته فسقط راسه الى صدر سبا وتحركت شفتاه قليلا كانه يتكلم، واسلم الروح

فاغمض طمران عينيه وحمله مع عوليس الى داخل البيت وسبا تنتف شعرها من القهر والحزن . ولكنها لم تبك كثيرا بل كفكفت دمعها ووقفت كلبوءة فقدت اشبالها واخذت تردد كلمات خالها .. خذي بالثار .. خذي بالثار ، ثم مشت الى حيث خبات التاج الذي وجدته على شاطىء البحر فتناولته وقالت لطمران

ــ هيا بنا الى منطور

فاسرع طمران الى الخارج لاحضار جواده ، والتفتت سبا الى عوليس وقالت له

ــ ابق هنا يا عوليس مع الجثة حتى نرجع

وخرجت من البيت وهي تقول

ــ نعم ساخذ بالثار .. ساخذ بالثار

وما هي الا لمحة حتى ركبت خلف طمران على جواده فانطلق بهما بسرعة البرق نحو المدينة حيث عرمود ومنطور ونوميس واما لها

الفصل السابع

لم يتماهل الجنود في سيرهم نحوالمدينة بعد اختطافهم نوميس بل اخذوا ينهبون الارض نهبا كانهم في سباق حذرا من ان يطاردهم مطارد يطمع بانقاذالفتاة من ايديهم فيعيقهم عن دخول المدينة قبل حلول الظلام، فالطريق عدا عن طولها كانت وعرة المسلك يضطر المسافر فيها الى التسلق تارة والانحدار طورا واجتياز الكثير من العقبات

وبعد دخولهم المدينة بقليل وصل طمران وسبا فذهبا توا الى بيت منطور واخبراه بمقتل الشيخ بنعال واختطاف نوميس فاغتم منطور كثيرا وبكى من فرط حزنه على الشيخ ولكنه لم يستسلم للانفعال والياس بل ملك عنان نفسه وخاطب الاميرة سبا قائلا

ربما كان اختطاف نوميس اعظم سلاح نتخذه ضد عرمود وقد فعلتِ حسنا باتيانك بالتاج معك الى المدينة، فلا تخافي فاليوم ترجع اليك نوميس وربما رجعت معها مملكة سبا

ثم التفت الى طمران وقال

انك تعرف اعواننا يا طمران فاذهب اليهم مع رجالي وقل لهم ان يتجمهروا امام قصر الملك هذه الليلة، ولكن حذار من الاقدام على شغب او هجوم ما بدون علمي ، و كن دائما على مقربة من القصر لتصل اليك تعاليمي

وهرول منطور نحو قصر الملك تاركا وراءه الاميرة سبا على احر من الجمر

وكان الملك عرمود قد ذهب في ذلك اليوم الى البرية لصيد الغزلان تسلية لنفسه وتفريجا لهمومه غير ان سعده لم يرافقه فلم يبصر سوى غزالة واحدة اطلق عليها سهمه فاخطاها فعاد الى المدينة قبل غروب الشمس بقليل ووجهه طافح غضبا وهما ، فلقد كان بالرغم من شجاعته في ساحات القتال وشراسته وظلمه في حكمه على رعيتـه ، ضعيف النفس وعبدا للاوهام يتشاءم ويغتم بل يخاف اذا لم يرافقه السعد يوما فيحسب لذلك الف حساب ويلتجيء الى شرب الخمر تسكينا لهواجسه واوهامه ويدعو العرافين والمنجمين ليقراوا له الغيب ويخبروه بما كتب له في لوح المقدور . وكان اعتقاده عظيما بان مستشاره منطور اقدر من غيره في ضرب الرمل والتنجيم فيدعوه اليه كلما ثارت هواجسه وارعبته اوهامه

فعند وصوله الى قصره في ذلك المساء ذهب توا الى مضجعه واتكا عليه طلبا للراحة وعمد الى شرب الخمر كعادته وبينما هو يفكر في استدعاء منطور اليه دخل عليه الحاجب واخبره بان زعيما لاحدى فرق الجنود يرجو المثول بين يديه فاجاب الملك بغضب

ـ ما اسمه ؟

ـ هو شمرين يا مولاي

ـ شمرين ... انه ياتيني دائما بما يسر .. ادخله حالا

وما هي الا هنيهة حتى دخل عليه زعيم الجنود الذين اختطفوا نوميس فبش عرمود في وجهه متوقعا منـه خبرا سارا وساله قائلا

ـ ماوراءك يا شمرين؟

ـ لاشيء يا مولاي سوى انناوجدنا في هذا النهار فتاة بارعة في الجمال فاحضرناها معنا الى مولانا الملك، وقد اجهدنا خيولنا كثيرا لنتمكن من الوصول الى المدينة قبل حلول الظلام

ـ يظهر لي انكم اتيتم بها من مكان بعيد

ـ وجدناها في بيت قديم على شاطىء البحر يبعد مسيرة نصف نهار عن المدينة ، ولم نر غيرها في تلك البقعة سوى شيخ ضعيف تجرا على ممانعتنا في خدمة مولانا الملك فاضطررنا الى ..

ـ لا يهمني ماذا فعلتم بالشيخ ... هل الفتاة جميلة؟

ـ انها لاية في الجمال يا مولاي، حمراء الخدين، زرقاء العينين ، ذهبية الشعر ، ذات قامة هيفاء ، وعمرها لا يزيد عن السابعة عشرة

ـ زرقاء العينين ! ... ذهبية الشعر! ... كم تاقت نفسي الى فتاة كهذه

وابرقت عينا عرمود واخذ يبتسم ابتسام الابالسة ، ثم التفت الى شمرين وقال

ـ اين هي الان ؟

ـ تركناها مع الجواري ليلبسنها ما يليق بالظهور امام مولاي الملك

ـ قل لهن ان يحضرنها الى «غرفة المسرات» ، وقل للخدم ان يجلبوا اطيب الخمر وافخر الاواني الذهبية ، واذا كانت الفتاة جميلة كما وصفتها لي فانني اجزل لك العطاء

وارقيك الى منصب اعلى
— انني عبد لمولاي الملك على اي حال من الاحوال
وخرج شمرين منتصبا شامخا بانفه كانه بطل عظيم

اما عرمود فنسي مخاوفه وفارقته هواجسه واوهامه فاخذ يجرع الخمر بشراهة ويتصور نوميس بصور شتى فتارة يتخيلها مسندة راسها الى كتفه وهو يقبل خصل شعرها الذهبية، وطورا يتوهمها داخلة عليه باسمة تتثنى في مشيها و نور الغرام يلمع في عينيها الزرقاوين

ثم قام عن سريره واخذ يترنح في مشيه من تاثير الخمر واتجه نحو «غرفة المسرات» وهي الغرفة التي اعدها لانواع قصفه من سكر ولهو وخلاعة. ولم يكن الفاصل بين غرفة نومه وغرفة المسرات سوى باب عليه ستار من المخمل المزركش. فلما وصل الى ذلك الباب ازاح الستار عنه قليلا وتطلع الى داخل غرفة المسرات فراى نوميس مرتمية على وجهها على مقعد في جانب الغرفة تبكي. وكانت الجواري قد البسنها ثوبا حريريا ناصع البياض وتركن شعرها الذهبي محلولا فلما راها عرمود على هذه الحالة اخذ يمعن النظر في قوامها الجميل وشعرها الذهبي الطويل ويبتسم ابتسام الرضى والاعجاب الممزوجين بسفالة المقصد وخبث النية

ولم يطق ان يقف هناك طويلا متفرسا في ذلك الجمال الخلاب فخطا نحوها على مهل وهو يكاد يلتهمها بعينيه ، فسمعت نوميس وقع خطواته والتفتت نحوه والذعر مرتسم على وجهها ، ولكنها لم تعرف من هو ... نظرت فرات

امامها رجلا شنيع المنظر يناهز الخمسين من سني حياته، كثيف الحاجبين ، منتفش الشعر ، له شاربان مرتخيان ومتدليان الى جانبي فمه، عيناه تقدحان شررا وابتسامته تبطن شرا ، فنهضت عن المقعد حالا وركضت الى الحائط كانها تريد حماية نفسها به واسندت ظهرها اليه واخذت تحملق في عرمود والرعب اخذ منها كل ماخذ

فلما راى عرمود ما هي عليه من شدة الرعب لاح في فكره ان يطيب خاطرها برقيق الكلام فيكسب ثقتها ويهون عليه بلوغ امنيته منها ، فوقف على بعد خطوات منها وخاطبها بصوته الاجش قائلا

ـ لماذا انت منذعرة مني ؟ انني عرمود ملك سبا

ولكنه بدلا من ان يراها قد اطمانت من تعريفها بنفسه وجدها قد زادت ارتباكا ورعبا ، وجحظت عيناها وهي محدقة فيه وغمغمت قائلة

ـ عر٠٠ مود ٠٠٠ عر٠٠مو٠٠د

فضحك عرمود حتى بدت نواجذه غير مبال بحالتها وقال بصوت تكلف فيه الرقة

ـ لست الاولى التي ارتعبت مني في بادىء الامر، ولا انكر انني لست فتى جميل المنظر، غير انني استطيع التعويض عما ليس لي من الجمال بما سوف اهبك اياه من فاخر الثياب والحلى، وما عليك سوى ان تنقادي لارادتي وتعملي ما يسرني

ولكن نوميس لم تنبث ببنت شفة بل ظلت تحدق فيه كالمجنونة ، تارة تعض علي اصابعها من الخوف ، وطورا

تقبض على شعرها بيديها المرتعشتين

غير ان عرمود راى قبلها كثيرات من الفتيات نظيرها واذلهن بالرغم من ممانعتهن ، ولم يكن رعب نوميس ليثنيه عن عزمه او ليبث فيه روحا جديدة ، روح الشهامة والرحمة ، ولكنه لم يشا ان يعمد الى العنف معها لان جمالها تسلط عليه وسلبه عقله ولبه ، فراى ان يظل معها على رقته وحيلته معللا نفسه بتسكين رعبها واكتساب رضاها

وكان الخدم قد اعدوا الخمر والانية الذهبية في تلك الغرفة فمشى عرمود الى حيث كانت الخمر وملاء كاسا وقال لنوميس

— الا تشربين قليلا من الخمر معي فتذهب عنك مخاوفك وتبتهج نفسك ؟

ولكن نوميس لم تجبه بل ظلت واقفة في مكانها اسيرة للرعب

فتقدم عرمود اليها ومد يده بالكاس قائلا

ما عليك سوى ان تجربي كاسا واحدة وانا الكفيل لك بالسرور وانشراح الصدر

فمدت نوميس يدها ودفعت الكاس عنها وقالت بصوت مرتعش من شدة الاضطراب

— ان كنت تبغي سروري حقيقة فقل لجنودك ان يرجعوني الى اختي وخالي

فاستغرق عرمود في الضحك ثم تجرع ما في الكاس جرعة واحدة وقال

— اسمعت ان صيادا يطلق صيده بعد وقوعه في الشرك

اه كم انت جميلة يا حبيبتي ... انني لم ار في حياتي شبيها لعينيك الزرقاوين ... اما شعرك الذهبي فلاشهى لدي من جميع خزائني المملوءة ذهبا

وتقدم ليضع يده على شعرها فنفرت منـــه وفرت الى الجانب الاخر من الغرفة

فامتعض عرمود من استمرارها على نفورها منه وعول على ترك الرقة واللين معها فتقدم اليها يريد ضمها الى صدره وتقبيلها عنوة فصرخت نوميس من الخوف واخذت تفر في الغرفة من جانب الى اخر وعرمود يلحقها حتى خارت قواها واحست بانها سوف تسقط الى الارض مغمى عليها . ورای عرمود ضعفها فابرقت اسرته فرحا واخذ يبتسم ابتسام الشياطين ويرمقها كما يرمق الذئب فريسته غير ان الاقدار شاءت ان تحول بينه وبينها ، وللاقدار طرائق عجيبة يقف امامها البشر مندهلين ، ففي تلك الدقيقة التي اوشكت فيها نوميس على السقوط الى الارض خائرة القوى وظن عرمود انه بالغ امنيته منها ، دخل عليه الحاجب ــ وكان عالما باخـــلاق عرمود المنحطة ومعتادا على الدخول عليه في اي وقت اراد ــ وقال له

ان مستشاركم منطور قد حضر الى القصر يا مولاي وهو يرغب في محادثة سيدي الملك بشؤون يقول انها خطيرة جـــدا

ــ قل له ان يرجع غدا فانني لا ارغب في التحـــدث بشؤون المملكة في هذا المساء

ــ لقد قلت له ذلك يا مولاي فابى الذهاب وقال انها

شؤون خطيرة جدا لا يمكن تاجيلها الى الغد

ــ ملعونة هي الشؤون الخطيرة ٠٠ اين هو الان ؟

ــ في قاعة الوزراء

ــ قل له انني آت اليه حالا

فخرج الحاجب وتبعه الملك بعد ان رمق نوميس بنظرة كادت تسحقها سحقا ، اما هي فكانت واقفة مسندة ظهرها الى الحائط كانها بلهاء من شدة الرعب ولم تفقه شيئا مما دار من الحديث بين عرمود وحاجبه

ودخل الملك عرمود الى قاعة الوزراء فراى مستشاره منطور وحده في القاعة وهو يتمشى ذهابا وايابا وعلامات الاضطراب بادية عليه ، فبادره الملك بلهجة يتبين منها الغضب قائلا

ــ ما هي الشؤون الخطيرة التي لا يمكن تاجيلها يا منطور

فانحنى منطور امام الملك محاولا تسكين اضطرابه واجاب قائلا

ــ ارجو ان يثق سيدي الملك بانني لولا محبتي واخلاصي له واعتقادي باهمية الامر لما ازعجته في هذا الوقت من الليل

ــ لو لم تكن لي الثقة بك لما جعلتك مستشاري ٠٠٠ اخبرني بما في قلبك

ــ لقد بلغني يا مولاي ان فرقة من الجنود اختطفوا فتاة اليوم واحضروها الى سيدي الملك

ــ ما هي علاقة الفتاة بشؤون المملكة التي جئتني من اجلها هذه الليلة ؟

ــ العلاقة كبيرة يا سيدي فقد اخبرني رجالي الذين يتجسسون

لي الاخبار ان للفتاة اتباعا يهيجون ويثورون على سيدي الملك اذا اصيبت باذى في قصره

ـ ومن هي هذه الفتاة حتى يكون لها اتباع ؟

ـ يقولون انها نوميس ابنة باشان الصغرى

فاضطرب عرمود عند سماعه اسم الملك باشان الذي كان هو السبب في هربه وموته وقال والذعر مرتسم على وجهه

ـ ابنة باشان .. لقد قيل لي ان باشان و كل اهل بيته ماتوا غرقا

ـ وهكذا حسبت انا ايضا يا مولاي غير ان الايام اظهرت لنا خطانا ، فالابنتان لم تموتا ، وفي البلاد حزب كبير يعمل على اسقاط سيدي الملك واسترجاع السلطة الى بقية عائلة باشان اي الى الفتاتين

ـ ولكنني استطيع ان اسحقهم سحقا بجيوشي

ـ ان هذا لمستحيل يا مولاي لاننا لا نعرف من هم رجال ذلك الحزب ، وعلاوة على ذلك فهناك اشاعة ان قسما من الجيش قد يعصى اوامر سيدي الملك وينضم الى اعدائه

فازداد قلق عرمود واضطرابه من هذا الكلام فقبض على يد منطور والخوف مرتسم على وجهه وقال

ـ ما رايك اذن .. اقرا النجوم او اضرب في الرمــل وقل لي ماذا كتب لي في لوح المقدور

ـ لقد فعلت ذلك يا سيدي فوجدت ان هنالك ظلمات كثيفة محيطة بسيدي الملك ، ولكنني رايت ايضا شعاعة من النور

ـ بماذا تشير علي اذن ؟

ـ اشير باطلاق سراح الفتاة واكرامها
ـ اذا فعلت ذلك اخاف ان يفسر الشعب عملي ضعفا
ـ ولكن هذا ما كتب في لوح المقدور فالنجوم لا تكذب وضرب الرمل لا يخطىء ، وقد قرات لك الغيب فرايت الظلمات تكتنفك من كل الجهات، اما الشعاعة التي ظهرت في وسط الظلمات فلا شك في انها تعني فرجا اذا اطلقت سراح نوميس

فارتعب عرمود عند سماعه ذكر النجوم وضرب الرمل ولوح المقدور فالتفت الى منطور وقال

ـ اذا كان الامر هكذا فلا مناص لي من اطلاق سراحها

ـ اذا شاء سيدي الملك اخذتها الى بيتي وعند الصباح ارسلها الى بيتها مع رجالي فيحسب الشعب انني ورجالي الملومون في اختطافها فيرتفع اللوم عن سيدي الملك

ـ انك لشهم يا منطور ولن انسى محبتك واخلاصك لي ما دمت حيا ... تعال معي الى حيث الفتاة فتاخذها معك الى بيتك

ومشى عرمود نحو غرفة المسرات يتبعه منطور ولكنه عند دخوله الغرفة لم يجد نوميس هناك فالتفت الى منطور قائلا

ـ لا ادري اين اختفت فقد تركتها في هذه الغرفة لعل الجواري اخذنها الى غرفة اخرى

وكان الحاجب على مقربة منهما فاقترب وانحنى امامهما وقـــال

لقد اختفت الفتاة من الغرفة بعد خروج سيدي الملك منها

بقليل وقد سألت الخدم والعبيد ان يبحثوا عنها ففعلوا ولكن بلا جدوى

فزاد اضطراب عرمود والتفت الى منطور قائلا

انني خائف من هذه الليلة يامنطور فاقرا النجوم مرة ثانية وقل لي ما هي الاخطار التي تهددني فانني ...

ولكن قبل ان ينهي كلامه دخلت احدى الجواري مذعورة وجثت امام الملك قائلة

ـ لقد وجدنا الفتاة ميتة يا مولاي

ـ ميتة ! ... ميتة!..

اما منطور فوقف جامدا كالصنم وعيناه تحدقان في الملك واخذ يقول

ـ ماتت ... ماتت ... ولكن كيف ؟

فاجابت الجارية

ـ ان الجثة في الحديقة يا سيدي

فاسرع عرمود ومنطور نحو الحديقةوهما يعللان النفس بان تكون المائتة فتاة غير نوميس

الفصل الثامن

ملكت نوميس روعها قليلا بعد ذهاب عرمود لمقابلة منطور فعولت على الخروج من تلك الغرفة ومحاولة الفرار من القصر، فخطت نحو الباب الذي دخلت منه فرات ما لم تنتبه اليه من شدة اضطرابها ورعبها حين جاءت بها الجواري رات هناك رواقا فسيحا تزينه الاواني الذهبية والتماثيل والطنافس الفاخرة ، ولكنها لم تعره التفاتا بل مشت في الرواق مفتشة ع ن منفذ للنجاة ، ويا لدهشتها حين وجدت عند اخره بابا مفتوحا ودرجات توءدي الى الحـديقة ، فاسرعت بالخروج كالعصفور السجين اذا وجد باب قفصه مفتوحا ، واخذت تمشي في الحديقةمتلفتة يمنة ويسرة خائفة من ان يراها احد الحراس او الخدم فيرجعها الى القصر

وسرعان ما وجدت ان هربها من القصر الى الحديقةلم يجدها نفعا فابواب الحديقة كانت مقفلة والسور كان عاليا لا تستطيع تسلقه ، ولو استطاعت فالحراس منتشرون في الخارج كما استدلت من اصواتهم وقعقعة سلاحهم ، ولو تمكنت من مغافلتهم وهربت فهناك عقبةاخرى هي انها غريبة في المدينة بعيدة عن بيتها ولا تدري الى اين تذهب في ذلك الليل ٠ فاخذت تمشي كالمجنونة حتى وصلت الى بركة ماء في وسط الحديقة تحيط بها الورود والازهار

وكان الليل متربعا على اريكته بعظمة الملوك والقمر باهيا لماعا تحيط به النجوم الزواهي الزواهر

وكانت في الفضاء غيمات صغيرة مبعثرة تداعب القمر من حين الى اخر بالحوءول بينه وبين مياه البركة حيث يرى جماله منعكسا عليها كما ترى الحسناء وجهها في مراة صقيلة

ولكن نوميس لم تكن هناك لترقب القمر والنجوم وتتامل عظمة الليل فحين ابصرت البركة وقفت فجاءتواتاها فكر لا يجيء الا لمن حل به الياس وتملكه القنوط . التفتت نحو القصر فلم تتخيل سوى عرمود بهيئته الوحشية وكلامه المرعب، فاقشعرت من الخوف وغطت عينيها بيديها ثم ادارة نظرها الى جوانب الحديقة فرات ان لا منفذ هناك للنجاةفشخصت ببصرها في البركة فخيل لها ان في الماء جاذبا يجذبها اليه ، فوقفت جامدة كالصنم تحملق في الماء وغمغمت بصوت ضعيف متقطع

ـــ اختي سبا ... سبا .. امي. اني ذاهبة الى امي

واغمضت عينيها ورمت بنفسها الى البركة كانه كتب في لوح المقدور ان تموت الابنة غرقا كامها ، وبعد فترة وجيزة طفت جثتها على وجه الماء واستقرت اشعة القمر عليها كانها كفن من نور ، وسكن ماء البركةبعد اضطرابه وساد السكون كان الطبيعة خشعت لدى هذا المنظر الرهيب فامسكت انفاسها حزنا على شهيدة الطهارة والعفاف

ولكن السكون لم يطل فان حاجب عرمود كان قدعرف باختفاء نوميس من غرفة المسرات فامر الجواري والخدم بالتفتيش عنها فهرولوا الى الحديقة بعدما فتشوا جميع غرف القصر ولم يجدوها

وبينما كانت احدى الجواري سائرة الى جانب البركة

لمحت شبحا طافيا على وجه الماء فصرخت من الرعب ونادت البقية وما هي الا هنيهة حتى انتشلوا نوميس من الماء ولكنهم وجدوها جثة باردة، فاسرعت احدى الجواري واخبرت عرمود ومنطور كما سبق الكلام وما هي الا لمحة حتى وصل الاثنان حيث كانت نوميس ملقاة على الارض ، فارتعش عرمود عند روءيتها وقال بصوت مضطرب

انها الفتاة بعينها ... هي... هي..فما العمل

اما منطور فحين راى نوميس ممددة على الارض احس كان رجليه لا تستطيعان حمله من شدة تاثير هذا المنظر عليه فعض على شفته حتى كاد يدميها ثم قال لعرمود محاولا اخفاء اضطرابه العظيم

ــ لا ادري ما العمل ... انني ذاهب لقراءة النجوم وبعد قليل ارجع لارى سيدي الملك

ولكنه لم يكد يخطو خطوة واحدة حتى تذكر ما اوصى به طمران من دعوة اعوانه الى التجمهر امام قصر الملك، فخطر في فكره ان يتخذ موت نوميس سلاحا جديدا ضد عرمود فالتفت اليه وقال

ــ انصح لسيدي الملك ان يامر عبيده وخدامه بوضع جثة الفتاة على نعش فخيم ويسيروا بها الى بيتي بدون تاخير وانا اهتم بدفنها فذلك اسلم عاقبة

فلم يخامر عرمود شك بمقصد منطور واجاب دون ان يفارقه اضطرابه

ــ سافعل ذلك انما اسرع بالذهاب واقرا لي النجوم

فسار منطور الى حيث ترك جواده فامتطاه واسرع الى حيث كان طمران با نتظاره امام القصر فراى هناك جما غفيرا من الشعب وفي طليعتهم طمران راكبا على جواده ، فدعاه منطور اليه وخاطبه على حدة قائلا

ــ ارى ان الجمهور ليس كله من اعواننا وان هناك بعض الجنود بين الشعب

ــ انني لم ادع سوى اعواننا الى التجمهر هنا كما امرتني فلبوا الدعوة وجاءوا جماعات جماعات فلما كثر عددهم تشوق غيرهم الى معرفة السبب فلم يمض وقت طويل حتى غدا الجمع عظيما كالبحر الزاخر

ــ لا باس فربما تحول هذا الى فائدتنا ، ولكن يجب ان لا اقف معك طويلا فاسمع وتجلد وكن رجلا فاليوم يومك فلا تخيب املي بك .. لقد القت نوميس بنفسها الى بركة حديقة القصر خوفا من عرمود فماتت غرقا وعن قريب ياخذها عبيد الملك الى بيتي حاملينها على نعش ، فاوقف النعش حالما يصل حاملوه الى وسط الجمهور والق على الشعب خطابا حماسيا حرضهم به على خلع عرمود عن عرش المملكة انما يجب ان تكون حكيما فلا تعرض نفسك لنقمة الاضداد واحذر من ان يقوم اعواننا بشغب او هجوم ما الا اذا جاءك مني امر بذلك

وتركه منطور دون ان ينتظر جوابه واسرع نحو بيته حيث كانت سبا با نتظاره على احر من الجمر

اما طمران فكان كمن وقعت عليه الصاعقة فوقف مبهوتا ولم يشاء ان يصدق ان نوميس ماتت ، غير ان ما خامره من

الشك في صحة الخبر اضمحل حالا عندما راى عبيد الملك خارجين من حديقة القصر وعلى اكتافهم النعش . فلم يدر ماذا يقول او ماذا يفعل ، و كاد فوءاده ينفطر من حزنه على نوميس ومما سوف يحل بالاميرة سبا عند وقوفها على خبر موت اختها

ووصل العبيد بالنعش الى حيث كان الشعب متجمهرا ففتح لهم الجمهور طريقا للمرور بينهم غير انهم لم يكدوا يسيرون بضع خطوات حتى تقدم طمران على جواده واوقف النعش وحامليه والتفت الى الجمع قائلا

ـــ ايها الشعب ، يا ابناء سبا ، اعيروني سمعكم قليلا وقفوا حول هذا النعش خاشعين فاقول لكم شيئا عن الملك عرمود

فضج الشعب عند سماعهم ذكر اسم الملك وقال احدهم

ـــ ماذا يستطيع ان يقول هذا الرجل عن الملك عرمود ؟

وقال اخر ـــ لا شك في انه وقح

فاجابه اخر ـــ لا ادعوه وقحا بل مقداما جسورا

وقال اخر ـــ ان لعرمود حسنات وسيئات فلنسمع ما سيقوله هذا الشاب قبل الاعتراض عليه

وقال احد الجنود مخاطبا طمران

ـــ اذا تجرات على اهانة سيدنا الملك فاننا نمزقك تمزيقا

اما طمران فزادته ملاحظاتهم عزما وجراة فرفع صوته وتابع كلامه قائلا

ـــ ايها القوم ، انا ما جئت هنا لاندب الملك عرمود فاحقره في عيونكم ، بل لابكي وابكيكم معي على هذا النعش الذي يمثل شرفنا المهان واعراضنا المهتوكة ، فان كان

بينكم من لا يهمه الشرف والعرض ولا تستبكيه الفواجع فليعتزل هذا المكان

واحد من الجمهور ـ ان لهجته يتبين منها الاخلاص

اخر يقول لرفيقه ـ هل انتبهت الى غصة في صوته من شدة التاثر ؟

الرفيق يجيبه ـ نعم وقد رايت الدموع تترقرق في عينيه

احد الشيوخ ـ اسمعوه يا قوم فهيئته تدل على الشرف

فصرخ الشعب ـ تكلم .. تكلم

طمران ـ ارى انكم تحترمون العرض وتهتمون للشرف، وهذا ما اعهده في ابناء سبا ، فاصغوا الى ما اقول وبعدئذ احكموا علي كما تشاءون

لا ابغي التحامل على عرمود فانه ملكنا وسيدنا وبطل عظيم اوجد لبلادنا مجدا حربيا عظيما فهابتنا الاعداء ورعوا جانبنا ، فهو اذن ذو حسنات

وحسناته قد تغرينا على التغاضي عما له من الهفوات

وقد تسكتنا عن الاحتجاج على الضرائب الكثيرة

وقد تكم افواهنا عن الاعتراض على عجرفة اعوانه واستبدادهم بنا

وقد تغمض عيوننا عن اختلال الامن في البلاد

و قد تنسينا سيئته الكبرى وهي غدره بالملك باشان واغتصابه الملك منه

ولكننا وان استطعنا نسيان باشان فلن نستطيع نسيان هذا النعش الذي يضم ابنته الاميرة نوميس، لا لانها اميرة فقط، بل لانها فضلت الموت شريفة على الحياة ذليلة مدنسة

المرض ولو في قصر ملك عظيم اسمه عرمود
اري انكم سكتم كانما على روؤسكم الطير ، ولا ادري اذا كان سكوتكم عن حزن على الفتاة ام عن خوف من عرمود، ولكن انظروا وابكوا اذا كنتم بشرا تشعرون»

ثم نزل طمران عن جواده وتقدم الى النعش المحمول على اكتاف الرجال فنزع الغطاء عنه فظهرت جثة نوميس للجمهور بالثوب الابيض المبلول فاثر فيهم منظرها وترقرق الدمع في عيونهم

ولم يستطع طمران النظر الى الجثة طويلا فعاد الى الكلام محاولا امساك دمعه وقال وصوته يكاد يختنق من شدة التاثر

ــ «لو عرفتم هذه الفتاة كما عرفتها انا لبكيتم بدماء القلوب بدلا من قطرات العيون ... رماها الدهر بموت ابيها وامها وفقدان الرفاهية والملك وهي طفلة فنمت وترعرعت في عزلة عن الناس كانها لم تكن اميرة، ولما عرفت بماضي عزها ومجدها حزنت ولكنها سامت للقضاء ولم تعترض . وعاشت منقطعة عن العالم مع خالها الشيخ واختها الكبرى ولم تكن لها غاية في الحياة سوى التمتع بالهواء وشعاع الشمس وزرقة السماء والعيشة مع اختها وخالها غير عابئة بما لها من الحقوق في الملك على البلاد ، ولكن ابى عرمود ان يترك لها هذه البقية الباقية من الهناء فاوعز الى رجاله باختطافها فاختطفوها بعد ان قتلوا خالها العاجز الشيخ بنعال واراد الملك ان يذلها كما اذل غيرها من العذارى اللواتي قضى عليهن سوء الطالع بان يمسين له فريسة ، ولكنها كانت اشرف من ان تهان، واطهر من ان تدنس ، فرمت بنفسها

الى بركة في حديقة القصر فغرقت كما غرق ابوها وامها قبلها هربا من عرمود

فالى م نصبر يا قوم ، وحتى متى نغمض اعيننا ونقول اننا مبصرون . ويحكم ايها الرجال ، ليست هذه الفتاة الاولى التي قضت نحبها شهيدة الطهارة والعفاف ، ولا هي الاخيرة لمطامع عرمود ، فماذا انتم فاعلون ؟ اتموتون في نومكم ام تفيقون؟ يا ويلكم، اترون بناتكم واخواتكم ونسياتكم يخطفن ويهتكن وتظلوا صابرين ؟ اما حان لكم ان تثوروا على الضيم والهوان ، ام ختم الذل على قلوبكم ونفوسكم فغدوتم في شقائكم وذلكم متمتعين ؟

ان كلامي هذا ليس الا ما يوحيه الي منظر هذه الفتاة التي علمتنا بموتها ان خسران الحياة خير من خسران الشرف فاحفظوا قولي واعملوا به اذا حركم، اوفا نبذوه اذا ازعجكم انما اعلموا ان ما اقوله لكم اليوم بلساني الواحد سوف تردده عليكم السنة زوجاتكم وبناتكم واخواتكم . فتحركوا وابداوا ولا توجلوا اذا كنتم على كسر نيركم معولين»

ثم ارجع طمران غطاء النعش كما كان والتفت الى حاملي النعش وقال بصوت تخنقه العبرات

ـــ سيروا الهويناء عندما تمشون بها ايها الرجال فانها لاكرم واشرف ما حملتم في حياتكم

فهاج الشعب وماج عند انتهاء طمران من كلامه وصار الكل من اعوان واضداد ناقمين على الملك عرمود، واخذ الشيوخ يحرضون الشبان على الثورة وما هي الا برهة وجيزة

حتى اخذ الجميع يرمقون القصر بنظرات الوعيد وهم يصرخون فليسقط عرمود ... فليسقط عرمود

الفصل التاسع

لم يهدا للاميرة سبا بال بعد ذهاب منطور لمقابلة الملك عرمود بشان نوميس بل ظلت اسيرة الهواجس والقلق خوفا على اختها من ان تصاب بمكروه ، وللهواجس لذعة لا يفهمها الا من هددهم الزمان بمصيبة فباتوا على مضاجع من ابر وهم يحسبون للدهر الف حساب وجازعون مما قد يريشه القدر من سهامه

فنسيت التاج والملك ومطامعها واما نيها ولم تفكر بسوى اختها . وكانت كلما سمعت وقع حوافر جواد بالقرب من البيت تهرول الى الباب على رجاء ان ترى منطور عائدا ومعه نوميس

وبعد برهة ظنتها سبا اجيالا عاد منطور الى البيت فلما رات ان نوميس لم تات معه تقدمت اليه وسالته بلهفة شديدة

— اين نوميس ... لماذا لم تات معك؟

فاثرت بمنطور لهجتها وزادت حزنه حزنا ولم يدر بماذا يجيبها غير انه ملك عنان نفسه واجابها وهو خافض الراس

— لقد وصلت متاخرا

ـ وصلت متاخرا ۰۰۰ ماذا تعني ۰۰ قل ماذا تعني ؟

ـ ان نوميس فضلت الذهاب الى امها على البقاء في قصر عرمود

فصرخت سبا صرخة دوت لها ارجاء البيت وتعلقت بصدر منطور قائلة

ـ اتعني انها ماتت؟ ۰۰ نوميس ماتت۰لالا اصدق۰۰ لا اصدق۰۰ قل كيف ماتت ۰۰قل۰۰قل۰

وارتمت على قدميه خائرةالقوى من فرطما نالها من الانفعال فانهضها منطور وقص عليها تفاصيل الفاجعة واخذ يعزيها برقيق الكلام ولكن بلا جدوى فان حبها لاختها كان اعظم ما تصل اليه قلوب البشر ولذا فحزنها كان معادلا لحبها

وبعد قليل وصل عبيد الملك بالجثة الى بيت منطور فحين راتها سبا ارتمت عليها واخذت تضمها الى صدرها وتقبلها وتخاطبها بكلمات تفتت القلوب

وبينما هي على هذه الحالة دخل طمران فلما راى ما هي عليه من البكاء والنحيب كاد ينفطر فؤاده شفقةعليها لا سيما وهي التي كانت موضوع حبه وعبادته ومحط رحال اماله ومن ذا الذي لا يتالم ولا يقطر فؤاده دما اذا راى حبيبته مصابة بمثل هذه الفاجعة

ولما كان منطور عالما بما في فؤاد طمران من الحب العظيم لسبا هان عليه تصور الالام التي المت بالشاب فراى ان يخفف عنه الامه بتحويل مجرى افكاره الى موضوع اخر فدعاه اليه وساله قائلا

ـ اخطبت في الشعب كما سالتك ؟

ـ نعم فعلت ذلك فامسى الجميع ناقمين على عرمود ومتحفزين للثورة ولقد ازداد عدد الجموع كثيرا والكل يصرخون فليسقط عرمود ·· فليسقط عرمود

فبدت علامات الاهتمام العظيم على وجه منطور واجاب قــائلا

ـ يظهر ان خطابك كان اشد تاثيرا مما توقعنا ، ومن المخاطرة ان يقوم الشعب بهجوم الان قبل ان يتحدوا ويتنظموا والا تمكن عرمود من قمع الثورة بما لديه من الابطال فليس لدينا اذن الا ان تتدارك الامر قبل استفحاله ··· لقد وعدت عرمود بالرجوع اليه فيجب ان اذهب حالا لعلي اجد حلا جديدا لهذه المعضلات ··· انمــا لا تنس ان ترسل رجالي عند الصباح ليحضروا جثة الشيخ بنعال فندفنها بالاكرام بجانب جثة نوميس

وامتطى منطور جواده واسرع الى قصر الملك فراى الشعب هائجا مائجا والجنود على استعداد للدفــاع عن القصر ، فعجل بدخوله على عرمود فوجده جالسا في غرفة الوزراء وحوله قواد الجيش فلما راه عرمود ظهرت على وجهه علائم الارتياح ودعاه اليه قائلا

ـ تقدم يا منطور فانني بانتظارك على احر من الجمر لقد اشار علي القواد بالهجوم على الشعب وتبديد شمله فما رايك؟

فاضطرب منطور في قلبه عند سماعه كلام الملك، ولكنه كان رجلا ذكيا محنكا سريع الخاطر ذلل الكثير من الصعاب في حياته ولذا فلم تكن هذه الصعوبة الجديدة لتقوى

عليه، فبعد ان تردد قليلا عن الكلام اتاه فكرجديد فوثق من نفسه واجاب مخاطبا الملك

ــ اذا شاء سيدي الملك ان يسمعني على حدة فانني اخبره بامور هامة قد تسهل له الوصول الى خير النتائج

فخاطب الملك القواد قائلا

ــ اذهبوا الان و كونوا مع الجنود على استعداد انما لا تقوموا بهجوم ما الا اذا امرتكم او اضطررتم الى الدفاع

فانحنى القواد امام الملك وخرجوا

ثم التفت عرمود الى منطور وقال له

ــ اننا وحدنا الان فتكلم واخبرني ماذا تقول النجوم

ــ قبل ان اخبر سيدي الملك بما قراته في النجوم اود اطلاعه على امور خطيرة

ــ وما هي هذه الامور الخطيرة ؟

ــ ايذكر سيدي ان التاج المقدس الذي كان يلبسه ملوك سبا غرق في البحر مع باشان ؟

ــ نعم اذكر ذلك فما المعنى ؟

ــ وهل يذكر سيدي الملك ما لهذا التاج من التاثير على الشعب لاعتقادهم بان النجوم ارسلته الى الارض خصيصا لملوك سبا ؟

ــ نعم . . نعم . . ولكنني لا افهم

ــ وهل يعلم سيدي الملك ان الشعب لا يتوانى عن الالتفاف حول اي من لبس ذلك التاج ؟

ــ ان في كلامك الغازا لا افهمها يا منطور، فما هو قصدك من تذكيري بهذه الامور ؟

ـ لا شيء يا مولاي سوى ان هنالك اشاعة بين الشعب وقف عليها رجالي واخبروني بها وهي ان الاميرة سبا ابنة باشان الكبرى قد وجدت ذلك التاج القديم المقدس مطمورا في الرمل على شاطىء البحر فاخذته واحتفظت به احتفاظها بروحها واوعزت الى اعوانها بنشر الخبر بين الشعب لترى ما يكون من تاثيره عليهم فلما علم الشعب بالامر اتخذوه علامة مقدسة تقضي بارجاع الملك الى بيت باشان وغدوا يعرضون على الاميرة سبا طاعتهم ويعدونها بالتفاني في سبيل ارجاع الملك اليها

فبدا الاضطراب والغيظ على وجه عرمود عند سماعه هذا الكلام وقال متوعدا

ـ ان هذه لخيانة عظيمة من الشعب ولم يبق في قلبي ريب بوجوب قتل كل من تحدثه نفسه بالعصيان علي ليعلموا انني انا الملك وليس اخر

ـ ولكن النجوم قد لا تكافل مسعى سيدي الملك بالنجاح فلقد قراتها الليلة فوجدت ان الظلمات لم تزل مكتنفة مولاي ومن العبث معاندة النجوم

فزاد اضطراب عرمود حين سمع ذكر النجوم والظلمات واجاب بلهجة تدل على التخوف وفروغ الصبر

ـ ولكن ما العمل ... اسكت ولا ادافع عن ملكي ونفسي ؟

ـ ان بلاد سبا لن تجد ملكا احسن من مولاي الملك، واذا اقدم الشعب على التمرد فما ذاك الا لاعتقادهم بان الاميرة سبا ابنة باشان قد اختارتها النجوم لتكون ملكة،

فاذا صيرها سيدي الملك ملكة على البلاد رجع الشعب الى السكينة ونسوا موت الاميرة نوميس وغير ذلك من الامور التي اثارت فيهم روح العصيان والتمرد

ـ ولكن كيف تصير ملكة ، اتعني ان اتنازل لها عن العرش ؟

ـ كلا يا سيدي ولكن باستطاعتك ان تتخذها لك زوجـة

ـ زوجة ... زوجة .. اترى نسيت انك خطبت لي الاميرة وشتي ابنة ملك الاموريين

ـ لم انس ذلك يا مولاي فباستطاعتك ان تتـزوج الاثنتين ، انما يجب ان تكون الأميرة سبا الملكة والاولى بين النساء اذا تزوجت بغيرها ؛ وان لم تقبل الاميرة وشتي بهذا فخير لك ان تخسرها من ان تخاطر بخسارة ملكك وحيـاتك

ـ لقد اعجبتني مشورتك يا منطور واظنها افضل حل لمعضلتنا ولكنني احاذر من امرين ، الاول ان يغضب ملك الاموريين فيشهر علي حربا ، والثاني ان لا تقبلني الاميرة سبا زوجا لها بسبب موت اختها

ـ ليهدا بال سيدي الملك من هذا القبيل فان بلاد الاموريين بعيدة عنا بعدا شاسعا ولا اخال ملكها يجرا على الزحف علينا لما يعهده في جنودنا من البسالة والشجاعة . وعدا عن ذلك فهو خاضع لسليمان ملك اسرائيل ولا يقدم على عمل خطير بدون اذنه ، ولا اخال سليمان يسمح له بمحاربتنا اذ لا فائدة من ذلك لبني اسرائيل .. اما الاميرة سبا

فبوسعنا التمويه عليها بادعاء اسباب اخرى لموت اختها فاذا صدقتنا هانت البقية ، ولا اظنها ترفض ملكا عظيما كسيدي بعلا لها

ـ ولكن كيف نستطيع التمويه عليها

ـ ليس هنالك من صعوبة فقد نقول لها مثلا ان الجنود اختطفوا اختها غلطا فلما عرف سيدي الملك بالامر غضب عليهم واحضر الفتاة اليه لتكريمها ولكنها اساءت فهم مقاصده الشريفة فانتحرت

ـ اتظنها تنطلي عليها هذه الحيلة ؟

ـ انها فتاة يا مولاي ، والفتيات ضعيفات حتى وهن في اقوى المراكز ، فان لم تصدقنا في قلبها فلي اعتقاد بانها تتظاهر بتصديقنا حتى لا تخسر زوجا عظيما كسيدي الملك فتصير ملكة بلا حرب اهلية وسفك دماء ، غير ان هنالك امرا اخر قد يساعدنا كثيرا على بلوغ غايتنا ويجب اجراؤه قبل مفاتحة الاميرة سبا بامر الزواج

ـ وما هو ؟

ـ لقد اخبرني رجالي ان الجنود قتلوا الشيخ بنعال خال الاميرة سبا عندما اختطفوا اختها وان جثته سيؤتى بها الى المدينة غدا لتدفن بجانب جثة الاميرة نوميس ، فاذا امر سيدي الملك بدفن الجثتين في مقبرة الملوك بالتعظيم والاكرام هان علينا اغراء الاميرة سبا والشعب على تصديق قصتنا والوثوق بحسن مقاصد سيدي الملك وكرم اخلاقه . وعندما تنقشع غمامة الحزن عن الاميرة سبا وتسلو اختها اذهب انا اليها واخطبها لسيدي الملك

ـ ولكن اتعرف مقر هذه الاميرة سبا ؟

ـ لم اعرفه بعد غير انني لا اشك في انها ستاتي الى بيتي لترى جثة اختها قبل الدفن

ـ لقد اقنعتني بحججك وحكمتك يا منطور ، وساصدر امرا بدفن الجثتين في المقبرة الملوكية بالتعظيم والاحترام انما عليك انت ان تهتم بالباقي فتقود الشعب الى تصديق القصة التي اقترحتها علي وتقنعهم ان يعدلوا عن الثورة، وتغري الاميرة سبا على التزوج بي حالما تخف لوعة حزنها على اختها

ـ لقد فعل سيدي الملك حسنا باعتماده علي وارجو ان يثق بمحبتي واخلاصي

ـ انني لن انسى صنعك معي ما دمت حيا يا منطور وسوف اكافئك مكافاة عظيمة متى مرت هذه العاصفة فاذهب الان وهدىء الشعب قبل فوات الفرصة

ـ امرك مطاع يا مولاي

وانحنى منطور ومشى قاصدا الخروج غير انه لم يدد يصل الى الباب حتى ناداه الملك قائلا

ـ نسيت ان اسالك عن امر هام يا منطور فاجبني عنه واذهب في سبيلك

فاضطرب منطور خوفا من ان يكون وراء هذا السؤال ما قد يفسد عليه خطته ومسعاه ولكنه بقي هادئا واجاب

ـ وما هو يا سيدي ؟

ـ هل الاميرة سبا جميلة ؟

ـ يقولون انها اية في الجمال يا مولاي..

الفصل العاشر

كان الشعب في الزمن القديم ، وباستثناء الشعوب المتنورة لم يزل حتى اليوم، قوة عمياء في ايدي الزعماء ذوي العقول الكبيرة يديرونها كيف شاءوا

وما كان منطور ليجهل هذه الحقيقة وهو الرجل المحنك والزعيم الكبير ولذا قدر بمساعدة اعوانه على اقناع الشعب بالعدول عن الثورة متمشيا في ذلك على الخطة التي اشار بها على الملك عرمود

ولم يكن بين اعوانه من عرف بقصده من هذا التغير الفجائي : من محرض على الثورة الى ناه عنها ، ولكنهم كانوا يثقون به ثقة عظيمة ويعلمون ان حياته موقوفة لتخليص البلاد من نير عرمود ، فلما راوا انه ساع لتسكين الشعب فهموا ان وراء الاكمة ما وراءها من العوامل التي اضطرته الى الحؤول دون نمو روح الثورة فانقادوا لارادته وساعدوه في مسعاه

وسر الملك عرمود كثيرا من نجاح الخطة التي رسمها منطور فعظمت ثقته به وزاد اعتماده عليه

ومضى شهران على دفن الشيخ بنعال ونوميس في المقبرة الملوكية اطمان بال الملك في خلالهما فعاد الى قصفه ولهوه ونسي الحوادث التي كادت تؤدي الى خسرانه الحياة

والعرش ولم يعلق بذهنه منها كلها سوى ان الاميرة سبا اية في الجمال وان لديها التاج المقدس فيجب ان يتزوجها ليحظى بجمالها وبالتاج معا فدعا اليه منطور وقال له

ـ لقد مضى شهران يا منطور على موت الاميرة نوميس واخال هذا الوقت كافيا لانقشاع غمامة الحزن عن فوءاد الاميرة سبا ، ولما كنت قد شوقتني كثيرا الى روءيتها بما وصفته لي من جمالها فقد دعوتك الي اليوم لاسالك اذا كنت ترتئي مفاتحتها بامر الزواج الان

فلم يرتبك منطور من هذا السوءال لانه كان يتوقعه واستعد له فاجاب وهو هادىء

ـ لا راي لي سوى تنفيذ اوامر سيدي الملك

ـ ولكن اتظن الوقت مناسبا لذلك

نعم يا سيدي لا ننا اذا صبرنا طويلا فقد يقوم اعداوءنا بحركة تفسد علينا مسعانا وعدا عن ذلك فانني قرات النجوم ليلة امس فوجدت ان الوقت وقت سعد لسيدي الملك

ـ ومتى تستطيع مخاطبتها بهذا الشان ؟

ـ نسيت ان اخبر سيدي الملك ان الاميرة مقيمة في بيتي فقد تمكنت من اقناعها بان السكنى في بيتي موقتا تحول دون وصول اي اذى اليها هذا عدا عما يبذله خدمي في سبيل راحتها ، اما قصدي الحقيقي فهو انني اردتها ان تكون في بيتي لاستطيع التكلم امامها عن عظمة سيدي الملك وكرم اخلاقه حتى اذا حان الوقت لاطلاعها على قصده بتزوجها نكون قد قطعنا نصف الطريق ووثقنا من قبولها بهذا الزواج

ـ لا عدمتك مستشارا لي يا منطور فانك بصائب ارائك

وبعد نظرك تزيدني اعجابا بك ومحبة لك يوما بعد اخر،
فاذهب الان واكشف للاميرة عن قصدي بتزوجها وارجع
الي غدا بالجواب

— سمعا وطاعة يا مولاي

وانحنى منطور وخرج ماشيا على مهل والملك يرمقه
بنظرات الاعجاب ويبتسم ابتسام الواثق من معده وزمانه

اما منطور فلم يكد يخرج من القصر ويمتطي جواده
حتى فارقه ذلك الهدو الذي انطبع على وجهه امام الملك،
وبدا عليه الاهتمام بل القلق الشديد لانه بالرغم من رسمه
هذه الخطة لنفسه راى ان من الصعب اقناع الاميرة سبا
بالانقياد الى رايه والتزوج بقاتل والديها واختها

وبينما هو مستغرق في افكاره لم يدر الا وجواده واقف
به امام بيته فترجل عنه ودخل البيت وهو لا يدري كيف
يبدا بالكلام واذ ذاك طرق اذنه صوت الاميرة سبا وهي
تقــول —

— لقد اخذت على نفسي عهدا يا طمران بان اخذ بثار
ابي وامي واختي وخالي ولو كلفني ذلك حياتي

فسر منطور عند سماعه هذا القول وراى بابا لمفاتحة سبا
بما جاء من اجله فاسرع الى داخل البيت فراها واقفة وفي
يدها التاج تتامله وطمران امامها كالعابد امام معبوده
فتقدم منطور اليها وقــال

— ارى انك لا تزالين مصرة على الاخذ بالثار من عرمود

— نعم ولا توجد قوة تمنعني عن هذا القصد لا سيما بعد
موت نوميس فانني لم احتمل تلك الضربة الهائلة الا لانتقم

فكل نبضة من نبضاتقلبي تعني الاخذ بالثـار ٠٠ الاخذ بالثار ٠٠٠٠ ولا يهمني بعد ذلك عشت او مت

ـ ولكن لدي طريقة تسهل لك الاخذ بالثار من عرمود بدون تعريض نفسك للخطر، انما عليك ان تتركي العواطف جانبا ولا تهتمي الا بما ينيلك ماربك

ـ قل ما هي طريقتك فكلي اذان مصغية

عندما حمل عبيد الملك جثة اختك نوميس على النعش ليحضروها الى هنا اوقف طمران النعش بايعاز مني والقى على الشعب المتجمهر خطابا حرضهم فيه على خـلع عرمود عن العرش فكان لكلامه تاثير عظيم كاد يوءول الى ثورة عظيمة في البلاد ولكنني وقفت دون نموها حين رايت ان هنالك خطرا على اعواننا من الاندحار نظرا لقلة السلاح في ايديهم وكثرته في ايدي رجال عرمود هذا عدا عن التدريب الكافي على القتال الذي يعوز العامة ، غير ان الشعب وان يكن قد اخلد الى السكينة فان روح الثورة لم تزل كامنة في صدورهم كمون النار تحت الرماد وبوسعنا في اي وقت شئنا ان ننفخ في النار لينلدلع لهيبها ولكن الخطر على نجاحنا لا يزال موجودا ، وعلاوة على ذلك فالشعب اذا ثار فثورته تكون للتخلص من عرمود لا لوضعك على العرش ومن الحماقة ان نركن الى هذه الخطة الا اذا رفضت انت رايا اخر سوف اعرضه عليك ينيلك ما تتمنين من الاخذ بالثار واسترجاع الملك بدون تعريض البلاد الى حرب اهلية واعواننا والشعب العامي الى خطر الاندحار والموت

ــ وما هو هذا الراي؟ قل فانني اقبل باي شيء يسهل لي الانتقام من عرمود

ــ الراي هو ان تقبلي بعرمود زوجا لك لتصيري ملكة اولا ، وبعد ذلك …

فانذعرت سبا عند سماعها هذا القول واومات اليه ليتوقف عن الكلام وقالت ونبضات قلبها تكاد تسمع من شدة الانفعال

ــ انني لا اشك في اخلاصك ومحبتك لي يا منطور ولكنني لا افهم كيف يجيز لك قلبك عرض هذا الامر علي مع معرفتك بالجرائم التي اقترفها عرمود ، وهل تحسبني مجنونة لارضى بقاتل ابي وامي واختي بعلا لي ؟

ــ كلا لا احسبك مجنونة ، ولكنك لم تفهمي قصدي بعد فقد قطعت علي كلامي وانا على وشك الايضاح فاسمعي تتمة الحديث اولا وبعدها ….

ــ لا ‥ لا اريد ان اسمع‥ يكفي ما قلته لي … لن اقبل بعرمود زوجا … لن اقبله … ويلاه ما اشقاني ‥ ما اشقاني …

وارتمت على صدرها على مقعد في الغرفة واخذت تبكي

اما طمران فاصفر وجهه واخذ صدره بالارتفاع والانخفاض سريعا من شدة تاثره وسرعة التنفس واقترب من منطور وخاطبه على حدة بصوت لا تستطيع سبا سماعه قائلا

ــ انني لم اعترضك في امر من الامور كل ايام حياتي كما انني لم انس ولن انسى انك مربي ومعلمي وصديق ابي الحميم غير انك برايك هذا قد سحقت قلبين، قلبي وقلبها … اليست هناك طريقة اخرى ؟ … انني

مستعد لقتل عرمود بيدي اذا اقتضى الامر ... الا تدري باني احبها بل اعبدها؟ الا تعلم انها منتهى امالي ؟....

فتأثر منطور من لهجة الشاب ولكنه وضع يده على كتفه محاولا حمله على الطمانينة وقال

ـ انني عالم بكل هذا يا طمران ولكن ثق بي ولا تخف ثم اقترب من الاميرة سبا وقال

ـ سبا ... انك الوحيدة الباقية من بيت باشان وواجبك لا ينتهي بالانتقام من عرمود بل باسترجاع مملكة ابيك . والملك لا يرجع اليك بمجرد موت عرمود لانك فتاة واذا مات الملك ولم يكن له ابن يرث الملك عنه فهناك اقاربه يطالبون بالعرش ومن البعيد جدا ان يلتف الشعب حولك لمجرد انك ابنة باشان ،اما اذاقبلت بعرمودزوجا واعلن هو انك الملكة فاذا مات فزمام الملك يكون في يدك ويقبل الشعب بك ملكة لا سيما اذا راوا هذا التاج المقدس ويجب ان لا تخافي من عاقبة هذا الزواج فانني اعددت لك ما يحميك من عرمود ويضع روحه في قبضة يدك .. انظري ...

فتوقفت سبا عن البكاء وادارت وجهها نحو منطور فراته يتناول خنجرا كان مخبئا على صدره تحت ردائه وتابع كلامه قائلا ـ

ـ اترين هذا الخنجر ؟ .. انه مسموم .. وسمه يقتل عاجلا ... فعندما تنتهي حفلة العرس ويذهب كل الى بيته ويقترب منك عرمود ليضمك الى صدره ويقبلك فما عليك سوى ان تجرحيه جرحا خفيفا ، ولاتخافي من هجومه

عليك لانه سيكون سكرانا وعدا ذلك فتا ثيرهذا السم عاجل جدا وان احتجت الى معونة فانا وطمران والخرون من اعوانا نكون منتشرين خارج غرف الملك بدلا من الخدم الذين سنرشوهم في تلك الليلة ... لقد سمعتك مرارا تتكلمين بحماسة الابطال متوعدة عرمود بالقتل ، ومنذ هنيهة سمعتك تقولين انك معولة على الاخذ بالثار ولو كلفك ذلك حياتك ولكن عندما حانت الفرصة للاخذ بالثار واسترجاع المملكة وتخليص عذارى البلاد وكل ذلك بضربة واحدة من يدك ظهر عليك ضعفك النسائي وارتميت تبكين .... اهذا كل ما لك من الجراة ؟ اهذه نتيجة القسم الذي اقسمته على جثة اختك نوميس بالانتقام من عرمود ؟.. انك وان نسيت اباك وامك فيجب ان لا تنسي نوميس

فانتفضت سبا عند سماعها اسم اختها ووقع نظرها على الخنجر فخيل اليها انها ترى على صفحته البراقة صورة نوميس ممددة على النعش فغطت عينيها بيديها جافلة من هذا المنظر ولكنها عادت فحملقت به وتقدمت من منطور واخذت الخنجر من يده وانتصبت قامتها وقالت بصوت هادئ دل على عزم قوي نشا في فؤادها

ـ لا شك في ان ضعفا طرا علي منذ هنيهة ولكنني عدت الى نفسي فها انا اقبل برايك واقدم نفسي الى عرمود لا للانتقام فقط ولا للحصول على العرش ولكن ذبيحة تفدى بها عذارى بلادي من قبضة ذلك الوحش الضاري فلا يحل بهن ما حل بنوميس . فاذهب يا منطور واعد المذبح .. اذهب وقل للذئب ان النعجة سوف تسلم اليه صاغرة ..

اذهب وقل لعرمود اني قبلت به زوجا ٠٠٠ واذهب يا طمران وبشر الاعوان بان النعجة قد اعتاضت عن قلبها الضعيف بقلب اللبوءة القوي ٠٠ اذهبا الان واتركاني وحدي لاتلو على هذا الخنجر ما اعرفه من فظائع عرمود فلا يخونني حين اغمده في صدره ٠٠٠ بلادي سبا ! ٠٠٠ بلادي سبا ٠ لقد سماني ابي باسمك حبابك، وحبا بك قد عزمت على بذل حياتي في سبيلك ٠٠٠ فاستريحا يا ابي وامي في مقركما الابدي، ونم هانئا في قبرك يا خالي بنعال ، ورفرفي فوقي يا روح نوميس ، وانشدن اناشيد الابتهاج يا عذارى سبا وليهنا بالكن ايتها الامهات، وتنفسوا الصعداء ايها الشيوخ، فقد حان وقت الخلاص من الوحش ٠٠٠ لقد حان ان يغل الموت يد عرمود

الفصل الحادي عشر

لم يفرح الملك عرمود في حياته كفرحه يوم عرف بان الاميرة سبا قبلت به زوجا وكيف لا ومنطور قد اقنعه بان هذا الزواج سوف ينيله التاج المقدس والاميرة سبا الساحرة بجمالها ، ومتى نال هذين الامرين فلاخوف عليه من مزاحم على العرش ولا من ثورة يقوم بها الشعب

فضرب موعدا للزواج واعلن ذلك للشعب واخذ في

الاستعدادللعرس وارسل رجاله الى اقصى البلاد لياتوا له بخير الحلى والجواهر والانسجة الحريرية ليقدمها هدية الى عروسه

وبلغ الخبر الاميرة وشتي ابنة ملك الاموريين وخطيبة الملك عرمود فاغتاظت كثيرا وعولت على الانتقام من خطيبها الخائن واضمرتالبغضاء للاميرة سبا لانها سلبتها اياه فذهبت مع ابيها الى الملك سليمان في اورشليم واخبراه بتفاصيل الخبر وسالاه المساعدة في الاقتصاص من عرمود على هذه الاهانة غير ان الملك سليمان ابى ان يسمح بنشوب حرب بين البلادين لسبب كهذاولكنه هون عليها الامر واضافها الى نساء قصره السيدات فقبلت بذلك غير ان الحقد على الاميرة سبا لم يفارق قلبها

اما عرمود فلم يهتم بشيء في الدنيا سوى الاستعدادلحفلة العرس ولما كان متكبرا فخورا محبا للعظمة فلم يدخر وسعا لجعل تلك الحفلة فريدة في بابها وليظهر امام شعبه بابهى جلاله ويتحدث بعظمته الامراء والملوك

ولما جاء موعد العرس جلس الملك على عرش فخم اعده خصيصا لذلك اليوم في قاعة الحفلات وغص المكان بالاشراف المدعوين واخذالكل يحتسونالخمر وهم يدعون لعرمود بطول البقاء وزيادة المجد والهناء وعرمود في شاغل عن ذلك بالاميرة سبا لانها لم تحضر بعد ولم يكن تجرعه الخمر الا ليزيده شوقا اليها • وبعد برهة ظنها اجيالا سمع ضرب البوق ودخل حاجب الى الجماعة وجثا امام الملك وقـال ـ

لقد وصل مستشاركم منطور يا مولاي تصحبه الاميرة سبا

ــ ليدخلا حالا

وابرقت عينا عرمودفرحا وانتصبواقفا واخذ يرمق مدخل القاعة بنظرات اكلة وهو على احر من الجمر ليرى تلك التي وصفها له منطور فريدة في الجمال والتي سوف تغدو ملكة على مملكة سبا وفؤاده معا

واذ ذاك دخل منطور والى جانبه غادة هيفاء القوام متسربلة بثوب حريري ابيض ومتحلية بافخر الجواهر واللالىء وعلى وجهها لثام حريري شفاف • وامسك منطور بيدها وقادها الى وسط القاعة والكل شاخصون اليها شخوص الاعجاب ومتشوقون ليروا اذا كان وجهها مماثلا لجسمها في الجمال والكمال • وانحنى منطور امام الملك وقال

لي الشرف والفخر بان امثل امام سيدي الملك ومعي سليلة الملوك الاميرة سبا التي اختارها سيدي زوجة له

وعند ذلك رفعت الاميرة سبا اللثام عن وجهها فعلت في القاعة عبارات الاعجاب بذلك الجمال الفتان واسرع الملك فنزل عن عرشه وتقدم منها وامسكها بيدها ومشى واياها الى العرش وهو يكاد لا يصدق ان عينيه تنظران ذلك الجمال النادر المثال • ثم اجلسها عن يمينه وقال مخاطبا المدعوين ــ

ــ ايها الاشراف • • • ليكن معلوما لديكم ولدى الشعب عموما انني قد اخترت الاميرة سبا زوجة لي وملكة على

بلاد سبا ، فليكن امرها مطاعا وليكرم اسمها في جميع انحاء البلاد

فهتف الجميع ـ فليحي الملك عرمود ولتحي الملكة سبا
وسمع الشعب المتجمهر خارج القصر الهتاف فرددوه صارخين فليحي الملك عرمود ولتحي الملكة سبا

واتى دور الراقصات فبرزن يخطرن ويتمايلن بحلل فاخرة اعدت خصيصا لحفلة العرس فمنهن من ظهرن مقلـدات الطاووس في لباسهن وتخطرهن ، وغيرهن بابليات برزن بشفوف حريرية وابدين من التفنن في الرقص ما خلب عقول الحاضرين فاخذوا يثنون على الملك و كرمه ويتحدثون بمجده وعظمته فتملك السرور قلب عرمود فاخذ يجرع الخمر تباعا ويبث سبا ما بقلبه من لواعج الوجد والهيام ويتلو عليها ما سوف يهديها من فاخر الجواهر والحلى وهي كلما نظر اليها ابتسمت له ظاهرا واشمازت منه باطنا وفي قلبها شوق الى انتهاء الحفلة كي تشفي غليلها بالانتقام منه . غير ان عرمود فسر ابتساماتها حبا وهياما به فكاد يجن من الفرح ووقف وقال بصوت عال

قولي لي يا مليكتي ما هي طلبتك فانها الى نصف المملكة تعطى لك

فاجابت سبا متكلفة الابتسام ولهجة الدلال
ـ لا طلبة لي سوى ان يظل سيدي الملك رافلا في مجده
وكان طمران واقفا كحارس على احد الابواب بايعاز من منطور فكان كلما راى سبا تبتسم للملك تلعب نار الغيرة في قلبه بالرغم من معرفته بالخطة المرسومة وتمنى

لو تركه منطور لنفسه كي يقتل عرمود بيده

ولحظ منطور اضطرابه فاقترب منه وخاطبه همسا قائلا

ــ ارى انك شديد الاضطراب يا طمران ولن يدك لا تفارق قبضة سيفك فاياك ان تدفع بك حدة الشباب الى هدم ما بنيناه

ــ لا تلمني يا منطور فان ما في قلبي من الحب لها يهيج بي الاما شديدة كلما رايتها تبتسم لعرمود وان كانت ابتساماتها تكلفا ، ويا حبذا لو سمحت لي بقتله بسيفي

املك عنانٌ نفسك يا طمران فقد قربنا من النهاية فصبرا ولا تنس انك وعدتني بالطاعة ... اذهب الان وقل لاعواننا ان يكونوا على استعداد فقدقربت الساعة وعنقريب يسقط عرمود

فاطاع طمران الامر ومضى ورجع منطور الى مكانه والملك والاشراف وروساء الجيش لاهون عن ذلك بمعاطاة الخمر حتى تسلطت على عقولهم فصاروا لا يفقهون ما يقولون او ما يسمعون

وغافل منطور الملك وهمس قليلا في اذن سبا وابتعد عنها فاصفر وجهها في بادىء الامر وظهر عليها اضطراب قليل ولكنها ملكت جاشها حالا وقالت للملك انها تشعر بدوار في راسها واستاذنته بالذهاب الى غرفتها وقامت تمشي على مهل تحف بها الجواري ، والملك يراقب كل حركة من حركاتها وعقله شارد بين جمالها وجلالها حتى غابت عن عينيه فرجع الى تجرع الخمر بشراهة غير مبال بالضعف الذي طرا على جسمه من كثرة الشرب

ولم يطق صبرا على فراق سبا ودفعه الشوق الى اللحاق بها فقام بعد قليل يترنح فيَ مشيه قاصدا غرفة الملكة غير عابيء بالمدعوين ولا بهتاف الهاتفين والحان العازفين

وراى عبيده تاثير الخمرةعليه وعجزه في المشيفاقتربوا منه يريدون مساعدته ولكن كبرياءه ابت عليه ذلك فامرهم بالابتعاد عنه واخذ يجاهد في مشيه حتى وصل الى غرفة الملكة

وكانت سباقدتوقعت قدومه اليهافوقفت بانتظارهويمناها الى وراء ظهرها قابضة على الخنجر المسموم فحينما ابصرها عرمود دنا منها وقال بلسان ثقيل وكلام متقطع

ــ ها نحن وحدنا الان يا مليكتي فتعالي وقبليني فان قبلاتك اشهى لدي من الخمر ودعيني اضمك الى صدري وطوقيني بذراعيك فتبتهج نفسي بقربك

وتقدم يريد ضمها الى صدره فبادرته سبا بطعنة قوية من الخنجر جرحته جرحا بليغا فسقط الى الارض يئن من الالم واخذ يحاول النهوض ولكن رجليه لم تستطيعا حمله

ورات سبا ضعفه وعجزه عن النهوض فوقفت امامه ترمقه بنظرات الانتقام وخاطبته بنبرات دلت على ما فيفوءادها من الكره له قائلة

طلبت الي ان اقبلك وليتك عرفت انني افضل الموت على شفتيك النجستين • واردت ان تضمني الى صدرك واشهى لدي ان تلتف علي الافاعي السامة من ان تضمني ذراعاك ايها السفاح • لقد افل نجمك ايها الوغد وانكمائت لا محالة لان الخنجر الذي طعنتك به مسموم، ولكن قبل

ان يغمض الموت عينيك يجب ان تعلم لماذا طعنتك هذه الطعنة فاسمع

طعنتك لانك كنت السبب في موت ابي وامي فحرمتني حنانهما ومحبتهما

طعنتك لانك تذل العذارى وتسحق قلوب الامهات

طعنتك لان رجالك قتلوا خالي الشيخ العاجز

طعنتك لانك اختطفت مني اختي نوميس التي اغرقت نفسها مفضلة الموت على المذلة والعار

من اجل هذا كله طعنتك ايها الظالم فانتقمت بضربة واحدة لابي وامي واختي وخالي وعذارى البلاد وخدمت الوطن اعظم خدمة

وكان عرمود اثناء كلامها يحاول الوقوف على رجليه باذلا كل ما بقي له من القوة والجهد فافلح اخيرا وهجم عليها يريد تجريدها من الخنجر وهو يدمدم قائلا

— الويل لك ايتها الافعى فانني ساسحق راسك سحقا

ففرت سبا من طريقه الى الجانب الاخر من الغرفة ولفرط اضطرابهـا لم تصرخ مستغيثة مع معرفتها بقرب منطور ورجاله منها • ولحقها عرمود من جانب الى اخر بالرغم من تاثير سم الخنجر في جسمه حتى امسك بها قرب شرفة الغرفة غير ان سبا بادرته بطعنة اخرى ودفعته عنها دفعة قوية القته على حافة حاجز الشرفة فهوى به ثقل جسمه الى الاسفل فسقط على ام راسه على درجات القصر ومات في الحال

ففارقت سبا رباطة جاشها عند هـذا المنظر المرعب

فاعرضت عنه بوجهها واغمضت عينيها وتراجعت الى داخل الغرفة وصرخت صرخة الرعب وماهي الا لمحة حتى دخل عليها منطور وطمران فاشارت الى الشرفة فهرول الاثنان اليها واطلا الى الاسفل فرايا عرمود قتيلا ممددا على درجات القصر وقد التف حول الجثة جمهور كبير من الشعب .
فارتبك منطور في بادىء الامر لانه لم يكن يتوقع هذه النتيجة ولكنه تغلب على ارتباكه حالا وقال لطمران

— انفخ في بوقك حالا يا طمران واعط العلامة لاعواننا

فنفخ طمران في البوق ثلاث مرات فهجم الحزب الثائر وهم بالعدة الكاملة واستولوا على جميع مداخل ومخارج القصر ولم يكن رؤساء جيش عرمود ليقووا على منازلة الثائرين والدفاع عن القصر لانهم كانوا سكارى فوقعوا اسرى بدون ادنى مقاومة

ووقف منطور على الشرفة ورفع صوته مخاطبا الشعب قائلا

يا ابناء وطني ، يا بني سبا الاكارم ، اعيروني سمعكم قليلا فاتلو عليكم ما يرفع الغموض عن مقتل عرمود

وكان منطور محبوبا من الشعب على رغم علاقته مع عرمود فلما راوه واقفا يريد الكلام اخذ كل يدعو رفيقه الى الانتباه حتى ساد السكون بعد تلك الضجة

وتابع منطور كلامه فقال —

لكل امرىء سيئات وحسنات ، واعداء ومحبون ، ولا شك في ان بينكم من احب عرمود ومن نقم عليه في قلبه ، ولذلك فانا لا اطلب منكم البكاء عليه ولا الفرح بموتــه

بل اريد ان تنظروا الى هذه الحادثة نظر الحكيم الحذور وتدرسوها على علاتها ليكون حكمكم في القضية صحيحا

ايها القوم ، ان كان بينكم من احب عرمود فقد احب فيه شجاعته ودربته الحربية ، غير انني لا اصدق ان بينكم من يضحي العرض والشرف ويقبل ان يكون ذليلا في نفسه من اجل رجل حرب شجاع حتى ولو كان ذلك الرجل عرمود

انا لا اصدق ان بينكم من يحزن لموته الا اذا ازدرى وطنه واحتقر نفسه وصم اذنيه عن استغاثة العذارى واغمض عينيه عما اوقع بهن عرمود من الذل والقى في قلوبهن من الرعبة

منذ شهور قليلة قمتم بثورة فاوقفتكم عنها لا حبا بعرمود ولكن خوفا عليكم من سيوف جنوده لانكم لم تكونوا منظمين ولا مدربين ولو لم اردعكم عن تلك الثورة بالحيلة والارهاب لاقتص منكم عرمود اشد اقتصاص ولرسخ ملكه رسوخا لا ينازعه فيه منازع

غير ان هناك فتاة لم تعبا بالخطر على حياتها فتقربت منه وقبلت به زوجا لا من اجل جواهره وامجاده بل لتخليص بلادها من نير الظلم ورفع الذل عن العذارى الطاهرات وهذه الفتاة هي الاميرة سبا ابنة الملك باشان الذي احبكم واحببتموه والتي لها وحدها الحق في الملك على بلاد سبا

وعند ذلك ظهرت سبا على الشرفة وبيدها الخنجر الذي قتلت به عرمود فقالت لمنطور

ـــ دعني اخاطبهم بنفسي يا منطور

ثم التفتت الى الجمهور وقالت

يا شعبي المحبوب ، لا انكر انني قتلت عرمود وكان قتله عمداً ولكنني لم افعل ما فعلت طمعاً بالملك بل حباً ببلادي التي سماني ابي باسمها ولكي لا يلحق بعذارى البلاد ما لحق بالكثيرات في الماضي وما حل باختي من الشقاء والموت

فهل منكم من يكره هذا الخلاص؟ هل منكم من يحسب عملي جريمة تستوجب الموت ؟ انني قابله بحكمكم ايها القوم واعلموا ان هذا الخنجر الذي طعنت به عرمود لا يزال في يدي لاغمده في صدري اذا شاء شعبي ذلك

وسكتت سبا عن الكلام وهي رافعة الخنجر بيدها فكان لكلامها ووقفتها تاثير عظيم على الشعب فرفع واحد من الجمهور صوته قائلاً —

— اهتفوا لها ايها القوم فانها لاشجع من الرجال

اخر — لا شك في ان عرمود كان ظالماً

اخر — لتهنأ بلاد سبا بالخلاص منه

احد الشيوخ — لا عجب ايها القوم فانها ابنة باشان العادل

اخر — لنجعلها ملكة علينا

وهنا دخل منظور من الشرفة الى داخل الغرفة ثم عاد حالاً وبيده التاج الذي وجدته سبا على شاطىء البحر ورفعه في يده وقال مخاطباً الشعب

— ايها القوم ، لا شك في ان للاقدار يداً في كل ماحدث فانظروا الى هذا التاج المقدس، تاج ملوك سبا ، فان البحر

وان يكن قد سلبنا ملكنا المحبوب باشان فقد ارجع الينا تاجه لتلبسه ابنته

قال ذلك ووضع التاج على راس سبا

فاندهش الشعب وتملكهم الفرح عند روءيتهم التاج فهتفوا بصوت واحد

ــ فلتحي ابنة باشان ــ لتحي الملكة سبا

فابتسمت سبا ابتسامة تجسم فيها كلما كان في قلبها من الهناء بتحقيق امانيها وتنفس منطور الصعداء وابرقت عيناه سرورا لنجاح خطته

اما طمران فراى ان التاج قد قضى على ما تبقى في قلبه من امال الحب ولكنه هتف مع الهاتفين مخفيا وراء سروره وابتساماته الم المحب اليائس

الفصل الثاني عشر

لم تستسلم سبا الى البذخ والترف والمسرات بعد ان ظفرت بالعرش بل اكبت على درس وحل المعضلات التي نتجت عن استبداد عرمود وسوء ادارته ، فكان دابها ايجاد وسائل لترقية البلاد وتحسين حالة الرعية. واول عمل قامت به كان رفع الضرائب الجسيمة عن الشعب وعقد معاهدات سلمية مع الممالك المجاورة فلم يمض من الوقت الا القليل حتى شعر السبائيون بالتحسين الكبير

الذي طرا على البلاد فغدا الكل من اضداد وانصار فرحين بهذا الانقلاب ونسوا عرمود وما مضى من الشقاء وصار اسم الملكة سبا لا يذكر الا بالتعظيم والاكرام واشتهر ذكرها حتى تحدثت به امم عديدة

ولكن ما بلغته من المجد لم ينسها اعوانها، وعلى الاخص منطور وطمران، فابقت منطور مستشارا واعتمدت عليه في كل امور المملكة واكرمته بكل ما يوسعها من الاكرام اما طمران فلم يقبل بترقية او مكافاة بل قنع بان يكون حارسها المرافق لها ، مفضلا القرب منها على كل الامجاد والنعم

ومرت سنة على استلام سبا زمام الملك لم يحدث في خلالها ما يكدر ، غير انها كانت من وقت الى اخر تراجع في ذاكرتها حادثة مقتل عرمود فيمتعض قلبها ويعذبها ضميرها ، ولم تكن تعتقد بالعرافين والمنجمين ولا بما كانوا يقولونه لها عن نجم سعدها الساطع وما يحيط بمستقبلها من الهناء

ولكنها كانت احيانا تسمع شيئا عن حكمة سليمان ملك اسرائيل فتتذكر ما وصفه لها منطور من امجاده فتتوق نفسها الى زيارته وروءيته ۰ واخيرا تغلب عليها ميلها فصممت على الذهاب ، فدعت اليها يوما منطور وقالت له

ـ انني لا ازال متعبة من ذكرى مقتل عرمود، وليس في البلاد من يستطيع اخباري شيئا صحيحا عما يضمره لي المستقبل ، ولذلك قد عولت على الذهاب الى اورشليم .رى الملك سليمان فقد قيل لي انه علاوة على حكمته

العظيمة فهو نبي يستطيع معرفة الغيب تماما، فما رايك

ـ ليكن كما تشائين ايتها الملكة ولا ضرر في ذلك فان سليمان ملك عظيم الشان ومن الحسن ان يكون لبلاد سبا صديق نظيره

ـ حسنا قلت فهيء لي هدايا كثيرة من الطياب وذهب وحجارة كريمة ولتكن الهدية لائقة بنا وبه، ولا موجب لان يصحبني احد من اشراف البلاد سوى انت وطمران

فاطاع منطور الامر وما هي الا ايام قلائل حتى سارت الملكة في موكب فخم قاصدة اورشليم وارسلت اماما رسلا ليخبروا الملك سليمان بزيارتها وكانت الدسائس ضاربة اطنابها في اورشليم في ذلك الوقت لان ادونيا كان لا يزال حاقدا على اخيه سليمان لفوزه عليه في الملك فاخذ يحرض الشعب مرة ثانية على القيام بمظاهرة ضد الملكة اماراس واخذ اعوانه باستمالة هذا وذاك اليهم حتى تالب حوله عدد كبير من الشعب وكثيرون من الشيوخ ورؤساء اسباط بني اسرائيل . فلما راى ادونيا كثرة عدد اتباعه ظن الوقت مناسبا لنفخ روح التمرد في صدور الشعب فعين لاعوانه يوما اوصاهم ان يتجمهروا فيه امام قصر الملك ويقوموا بمظاهرة علنية ضد الملكة

وكان الملك سليمان في شاغل عن ذلك بامور المملكة والقضاء لرعيته فلما جاء اليوم الذي عينه ادونيا للمظاهرة وسمع الملك الضجة خارج القصر سال عن السبب فقيل له ان اخاه ادونيا وعددا من شيوخ اسرائيل يريدون مقابلته لعرض مطاليب الشعب عليه فسمح لهم الملك بالدخول

فدخلوا وفي مقدمتهم ادونيا وهو يبتسم ابتسامة كلها خبث ودهاء فبادره سليمان بالسؤال قائلا

ــ لماذا الشعب هائج في الخارج، وما هي المطاليب التي يريدون عرضها علي يا اخي

ــ لا شيء يا اخي سوى ان الشعب قد عاد الى الاحتجاج على اتخاذك اماراس ابنة فرعون ملكة وهم يطلبون ان تطلقها وتتخذ الاميرة وشتي ابنة ملك الاموريين ملكة بدلا منها

فادرك سليمان للحال ان في الامر تدبيرا ولكنه اجاب على الفور

ــ ان الملكة اماراس لم تجن ذنبا تستحق من اجله الطلاق ولذلك لن اطلقها • وانتم ايها الشيوخ الا تدرون انني اذا طلقتها ينقم علي فرعون فيجرد علينا جيوش مصر الجرارة • اتريدون لبلادكم حربا ام سلما؟ اخرجوا واوصلوا كلامي الى اتباعكم وقولوا لهم ان يرجع كل منهم الى حقله وبيته والا فالويل لنا اذا اثرنا حربا لا يرضى عنها الرب

فلم يستطع احد منهم الاعتراض على ما قاله سليمان وخرجوا من لدنه وهم مقتنعون بان البلاد في غنى عن محاربة المصريين واوصلوا كلامه الى الشعب فعاد كل الى عمله حسب قول الملك • اما ادونيا فاضطر الى التظاهر بالاعجاب بحكمة اخيه سليمان محاولا اخفاء ما في فؤاده من البغض والميل الى الانتقام

ولم تكد هذه الحادثة تنتهي حتى سمع الملك سليمان بان ملكة سبا قادمة لزيارته فامر بتزيين المدينة اكراما لها وسأل اخاه ادونيا ان يراس كتيبة من الفرسان ويذهب

لملاقاتها خارج اسوار اورشليم ۰ ففرح ادونيا عند سماعه هذا الخبر واسرع لملاقاتها عملا باشارة اخيه وفي قلبه امل بان يستهويها جماله فتحبه وتتزوج به فيغدو ملكا على بلاد سبا ويظفر بعرش اخر بدلا من عرش بلاد اسرائيل

وعلمت الاميرة وشتي ابنة ملك الاموريين التي كانت خطيبة عرمود بقرب وصول الملكة سبا الى اورشليم فعاودتها ذكرى خسرانها الملك عرمود فهاج ما كان كامنا في فوءادها من نار الحسد والبغضاء لسبا وتمنت لو تنزل نار من السماء وتلتهم سبا قبل وصولها الى اورشليم ۰ ولما كانت طامعة بان يختارها سليمان يوما من بين نسائه ملكة بدلا من اماراس ابنة فرعون خافت ان تسلبها سبا سليمان كما سلبتها عرمود من قبل فزاد ذلك في كرهها لها وعولت على حضور كل الحفلات التي يقيمها الملك لملكة سبا املة ان يفضل سليمان جمالها على جمال سبا فتفوز عليها وعلى الملكة اماراس في وقت واحد

اما الملكة سبا فلم تاكلها نار من السماء كما تمنت الاميرة وشتي بل ظلت في سيرها حتى وصلت الى مقربة فرسخ من اورشليم وهناك استقبلها ادونيا مع فرسانه واخذ يتقرب منها ويتزلف اليها ، غير ان منطور حذر الملكة منه قائلا

ـــ هذا هو ادونيا الذي تامر على اخيه الملك سليمان وقد سمعت عنه انه رجل لئيم شيمته الغدر فكوني منه على حذر واياك والاغترار بجمال وجهه

فعملت سبا بمشورته ولا سيما وهي لم تفكر بامر الزواج قط ، ولحظ ادونيا منها فتورها نحوه فامتعض في قلبه ولكنه

لم يقطع الامل بل صمم النية على متابعة مسعاه مهما اعترضه من العقبات

ودخلت الملكة سبا الى اورشليم بموكبها الفخيم فجرى لها استقبال عظيم جدا لم يشهد الاسرائيليون مثله من قبل وكانت جالسة على محمل مغشى بالذهب ومرصع بالجواهر يحمله ثمانية من العبيد الاشداء، والى جانبيها منطور وطمران على جوادين عربيين ، ووراءها خيل وجمال كثيرة محملة ذهبا واطيابا وجواهر . ودهش الشعب لما راوه من امجادها فاخذوا يهتفون فلتحي ملكة سبا

وظلت محمولة على اكتاف عبيدها الى ان وصلت الى قصر الملك ودخلت قاعة العرش فرات سليمان جالسا على كرسي عظيم من العاج المغشى بالذهب الابريز بين اسدين منحوتين من المرمر . وكانت لابسة ثوبا جميلا من الحرير الابيض ومتزينة بحلى ولالي لم تقع عين على احسن منها وكان على راسها تاج مرصع بافخر الجواهر واللالي فبدت اية في الجمال، وكانها عرفت ما كان لمنظرها من شدة التاثير على العقول والقلوب فنزلت عن المحمل واخذت تنقل خطاها على مهل بعظمة وجلال وهي بين صفين من خيرة رجال اسرائيل وكل منهم متقلد رمحا مرصعا بالجواهر وترسا من ذهب مطرق حتى وصلت الى الدرجات الست التي توءدي الى العرش ، وكان على الدرجات اثنا عشر اسدا واقفة على الجانبين وكلها منحوتة من المرمر

غير ان جل اهتمام الملكة سبا كان بان ترى سليمان فلم تبال كثيرا بما حولها من الفخامة والعظمة بل اخذت تصعد

على الدرجات وهي تمعن النظر في ذلك الملك الشاب الذي ملاءت شهرته الافاق وتحدثت بحكمته جميع الامم. اما الملك فحين رآها صاعدة على الدرجات نزل اليها واخذ يدها وعقله شارد بين جمالها وجلالها فلما بلغا العرش اجلسها الى يمينه واهل القصر يهتفون فليحي الملك سليمان ولتحي الملكة سبا

ثم تقدم عبيدها فقدموا اليه مئة وعشرين وزنة ذهب وحجارة كريمة واطيابا كثيرة وعددا كبيرا من الانية الذهبية وعاجا وطواويس وخيلا عربية. فسر سليمان بهذه الهدايا

غير ان سروره بالملكة الزائرة كان اعظم لان جمالها راق لعينيه بل سلبه عقله ولبه فاخذ يطيل نظراته اليها وهو يكاد لا يصدق على الرغم من كثرة نسائه الجميلات ان في العالم جمالا ساحرا كجمال سبا . ولم تكن سبا باقل منه افتتانا ولكن حياءها وكبر نفسها منعاها عن تكرار اطالة النظر اليه. وارادت ان تتخلص من تاثير نظراته عليها فابتسمت ابتسامة لطيفة وقالت له

ـ انني اتيت اليك لاسمع حكمتك ولاطلعك على امور تقلقني كثيرا فقد قيل لي انك نبي عظيم وان لك الها لا يخيب طلبتك

فقابل سليمان ابتسامتها بابتسامة مثلها واجاب

ـ لا ادعي الحكمة ولا القوة على قراءة الغيب ولكن الهي العظيم، يهوه رب اسرائيل، هو الذي ينير ذهني ويوحي الي ما ينبغي ان اقول او افعل ، وما انا سوى عبد للرب

وكان ادونيا اخو سليمان واقفا على مقربة منهما يراقبهما



فلما راى ما كان لجمال الملكة سبا على قلب اخيه ازداد حقده عليه وخاف ان يفوز عليه بالتملك على قلب سبا كما فاز عليه قبلا بالجلوس على كرسي مملكة اسرائيل٠ وكانت الاميرة وشتي الى جانب ادونيا وهي تكاد تتمزق من الغيرة فلحظت منه غيرته من اخيه ورغبته في استهواء سبا كما لحظ هو غيرتها من سبا ورغبتها في التسلط على قلب سليمان فانزويا الى جانب واتفقا على ان يسعيا لمنع وقوع المحبة بين سليمان وسبا

اما سبا فلم تدر بما سببه وجودها من الحسد والدسائس بل كانت اسيرة الدهشة والاعجاب بامجاد سليمان وحكمته فكانت ترافقه من يوم الى اخر الى دار القضاء حيث كان يقضي لبني اسرائيل فترى من عظم حكمته وعدله ما يزيدها دهشة واعجابا

وحدث يوما ان اتت امراتان الى دار القضاء ومعهما طفل تتشاحنان عليه ووقفتا بين يدي الملك سليمان ليقضي لهما فقالت المراة الواحدة استمع يا سيدي — انني انا وهذه المراة ساكنتان في بيت واحد وقد ولد لي ابن معها في البيت وفي اليوم الثالث بعد ولادتي ولدت هي ايضا ابنا وكنا معا ولم يكن معنا غريب في البيت٠ وحدث ان مات ابنها في الليل لانها اضطجعت عليه فقامت في وسط الليل واخذت ابني من حضني وانا نائمة واضجعته في حضنها واضجعت ابنها الميت في حضني٠ فلما قمت صباحا لارضع ابني وجدت ان الطفل ميت فتاملت فيه فاذا هو ليس ابني الذي ولدته ٠ فاجابت المراة الاخرى قائلة — لقد تكلمت

هذه المراة كذبا يا سيدي فان ابنها هو الميت وابني الحي

وكان ادونيا واقفا على مقربةمن سبا فلما سمع ما تكلمت به المراتان تبسم عن خبث ودهاء ودنا منها وهمس في اذنها قائلا

— لا الومك على اعجابك باخي وبما ترينه فيه من الحكمة فانه منذ قدومك الى اورشليم لم تصل اليه الا القضايا التي يسهل حلها على اي كان، وانني خائف من ان تكون قضية هاتين الامراتين عقدة يصعب عليه حلها فتتزعزع ثقة الناس بحكمته

فاجابته سبا ببرود

لا اجيبك على كلامك هذا حتى ارى ما يكون من حكمه في القضية

ولحظ سليمـــان ابتسامة اخيه ونظراته المعنوية الى سبا فادرك ما يكمنه له من الشماتة ولكنه تجاهل وقال لعبيده

— هذه تقول ابني الحي وابنك الميت وتلك تقول لا بل ابنك الميت وابني الحي فخذوا الطفل الحي واشطروه شطرين واعطوا نصفا للواحدة ونصفا للاخرى

فقالت احدى الامراتين

— نعم اشطروه فلا يكون لي ولا لها

اما الاخرى فصرخت مرتعبة لان احشاءها اضطرمت على ابنها وقالت للملك

— اعطوها الطفل يا سيدي فذلك خير من ان تميتوه

فلما راى الملك ما ابدته من الحنان عرف انها هي ام الطفل الحي وقال لعبيده اعطوها الطفل ولا تميتوه فانها امه

فدهش الجميع عندما سمعوا بهذا الحكم العجيب، والتفتت الملكة سبا الى ادونيا قائلة

ــ هذا جوابك يا ادونيا فان ما حسبته انت عقدة كان لاخيك امرا سهلا

فاصفر وجه ادونيا وخرج من القاعة وقلبه مملوء غيرة وحسدا

اما سبا فصبرت حتى انصرف الجميع ولم يبق في قاعة القضاء غير سليمان فاقتربت منه وهي ترمقه بنظرات الاعجاب وقالت له

ــ صحيحا كان الخبر الذي سمعته في ارضي عن امورك وعن حكمتك ولم اصدق الاخبار حتى جئت وابصرت عيناي فهوذا النصف لم اخبر به فانك زدت حكمة وصلاحا على الخبر الذي سمعته. طوبى لرجالك وطوبى لعبيدك الواقفين امامك دائما السامعين حكمتك وليكن مباركا الرب الذي احبك وجعلك ملكا على اسرائيل فبذلك قد احب الرب اسرائيل الى الابد

فاجابها سليمان وهو يحاذر ان تلتقي نظراته بنظراتها طويلا

ــ ربما كنت حكيما غير ان راس الحكمة مخافة الرب طوبى للانسان الذي يجد الحكمة وللرجل الذي ينال الفهم

ورات سبا ان الفرصة سانحة لاطلاع الملك سليمان على ما كان يخامر قلبها من القلق فسردت عليه تاريخ عرمود وجرائمه واوقفته على تفاصيل قتلها اياه خاتمة الكلام بقولها

ــ ولكنني لم افعل ما فعلت الا انتقاما لاختي نوميس وتخليصا لعذارى البلاد من ظلمه وشره، فاسال الهك ايها

الملك واخبرني بما يضمره لي المستقبل

فلما سمع سليمان كلامها ادرك ان موقفه الان موقف مرشد روحي فتملك على عواطفه ووقف امامها كما يقف الكاهن امام مستشيره واجابها برزانة وجلال

ــ ان خطيئتك لعظيمة ايتها الملكة وان يكن عرمود قد استحق الموت ، فان ملك الملوك ورب الارباب يهوه اله اسرائيل يقول لا تقتل ، ولكنه اله حكيم وعادل رحيم فتوبي اليه والتمسي غفران خطيئتك فيباركك ويثبت ملكك

واذ ذاك ظهر طمران واقفا في الباب اذ كان قد اتى ليرافق سبا الى القسم المعد لها في القصر فلما راته قالت للملك

ــ علي ان اذهب الان فوداعا حتى الغد

فنظر سليمان اليها نظرة تضمنت كل ما كان في قلبه من الهيام بها واجاب

ــ لا ٠٠ لا تقولي الوداع بل الى اللقاء فذلك اعذب وقعا على السمع والقلب

فاعترت سبا هزة خفيفة عند سماعها هذه الكلمات وازداد خفقان قلبها فاسرعت بالخروج من القاعة وسليمان يتبعها بنظراته وقلبه ٠ اما طمران فسار وراءها وهو صامت كعادته ولسان حاله يقول

مثلما يكمن اللظى في الرمـــاد
هكــذا الحب كــامن في فؤادي

الفصل الثالث عشر

في العالم قوتان عظيمتان تتطاحنان منذ الخليقة هما المحبة والبغضاء • الاولى بناء وارتقاء ونور وسعادة، والثانية خراب وانحطاط وظلمة وتعاسة • والويل للعالم اذا حذا الكل حذو ادونيا وصاروا عبيدا للبغضاء

ابغض ادونيا داوداباه لانه لم يقمه ملكا على اسرائيل مكانه فلم ينل بركته قبل موته• وابغض اخاه سليمان لانه فاز عليه بالملك فوقف حياته لتمرير عيشه وانتزاع الملك من يده ، وكاد يفلح مرارا لولا ما اوتيه سليمان من الحكمة وما عضده الشعب به من الثقة والمحبة والاحترام

ولم يكن سليمان جاهلا بغضاء اخيه ولكنه كان طويل الاناة، فكان كلما راى من ادونيا ما يريبه يدعوه اليه ويناقشه الحساب عليه فيقسم له ذاك بالمحبة والاخلاص فلا يكاد يخرج من لدنه حتى ينسى قسمه ويرجع الى ما كان عليه من دس الدسائس ووضع العراقيل في سبيل اخيه الملك

ولما جاءت ملكة سبا الى اورشليم وراى ادونيا جمالها وجلالها حدثته نفسه باستهوائها والتزوج بها فيغدو ملكا على بلاد سبا العظيمة ، وكان ذلك مما خفف قليلا من بغضائه لاخيه ولكنه لما راى فتور الملكة سبا نحوه وارتياحها الى سليمان زادت البغضاء ثورانا في قلبه وصار يبغض حتى

سبا نفسها • ولولا امله با نه قد ينالها في المستقبل، واعتماده على حيله ومكره في تحقيق ذلك الامل، لاظهر بغضه لها علانية• ولكن عرش بلاد سبا يستحيل الوصول اليه الا اذا تزوج الملكة سبا ولذلك اضطر الى التجلد والاعتصام بالصبر ــ التجلد على لذع نيران الغيرة والحسد من اخيه، والصبر على تلك التي افتتن بجمالها وبتاجها فتوهم انه احبها، والحب لا يدخل قلبا مبغضا كقلبه، وان دخل فما هو حبا وانما طمع وانانية

وخيل لادونيا ان الطريقة الفضلى لمنع سليمان عن الهيام بسبا هي ان يوجد سبا يخفض من كبريائها ويسقط منزلتها في عيني سليمان ، فاذا تم ذلك ولم يعد من خطر من مزاحمة اخيه له هان عليه امتلاك قلبها والحصول على عرش بلاد سبا • فاخذ يترقب الفرص منصرفا بكليته الى تحقيق امانيه فصار لا يصبح ولا يمسي ، ولا يا كل ولا يشرب الا وعقله في شاغل بتدابيره الشريرة

و كان قد اتخذ الاميرة وشتي رفيقة ومعينة له في دسائسه فان بغضها لسبا وطمعها بان تصير يوما ما الاولى بين نساء سليمان وملكة بدلا من اماراس ابنة فرعون دفعاها الى القبول بمكائد ادونيا وبقيادته لها في تنفيذ ماربه الخبيثة

اما سليمان فكان همه اكرام سبا والقيام بكل مايرضيها ويسرها، ولم يشا ان يفتكر بان حبها قد اخذ يتسرب الى قلبهبل ظن ميله الى قربها ليس الا لانهـا زائرة يجب الاحتفاء بها

وكان الملك سليمان مغرما باقتناء الجياد من الخيل

على اختلاف انواعها وعلى الاخص المصرية والعربية منها فكان يقيم حفلات سباق من حين الى اخر يتبارى فيها فرسانه فيقدم الى الفائز منهم جائزة من الذهب او الحجارة الكريمة

وشاء ان يري الملكة سبا جودة خيلهومهارةفرسانه وسائقي مركباته فامر بان تقام حفلة سباق عظيمة ينزل الى مضمارها اجود ما لديه من الجياد وامهر من في اسرائيل من راكبي الخيل وسائقي المركبات . وارسل الى سيحون ملك الاموريين وحيرام ملك صور يدعوهما الى حضور الحفلة اكراما للملكة الزائرة وطلب اليهما ان ياتيا بخير ما لديهما من الخيل لمسابقة خيله

فلما سمع ادونيا بالامر حدثته دناءة نفسه باغتنام هذه الفرصة لاذلال سبا في عيني سليمان فلما جاء اليوم المعد للسباق ذهب الى الاميرة وشتي وقال لها

— لقد جئت اليك يا وشتي بامر هام انما قبل ابتدائي بالكلام اريد ان اثق من انك لا تزالين مصرة على الانتقام من الملكة سبا

فظهرت على وجه وشتي علائم الكره الشديد عندما سمعت اسم سبا واجابت بنبرات عصبية دلت على غيرة تتاكل قلبها

— لا يكن لك شك في كرهي الشديد لها يا ادونيا واعلم انني لا ابتغي في حياتي سوى نيل ماربين. الاول الانتقام من سبا اما بتحقيرها واذلالها او بموتها، والثاني ان اغدو ملكة على اسرائيل. وان اضطررت الى تضحية احد هذين

المارين في المستقبل فاني افضل ان اضحي تاج الملكة ولا اضحي رغبتي في الانتقام من تلك الحية الرقطاء التي يدعونها سبا
ــ ولهذا جئت اليك في هذا الصباح فان لدي طريقة تنيلك اليوم ما تبتغينه
ــ قل بربك ولا تبطىء فكلي اذان مصغية
ــ اتعلمين ان الملك يقيم حفلة سباق في هذ اليوم اكراما لهذه المراة التي تدعينها حية رقطاء
ــ نعم اعلم وانني اكاد ابغض سليمان من اجل ذلك على الرغم من حبي الشديد له.
ــ وهل تعلمين ان السباق الاول سيكون بين بني يهوذا وبني بنيامين من سائقي مركبات الملك
ــ نعم بلغني ذلك
ــ وهل تعلمين ان السباق الثاني سيكون بين فرسان سليمان وفرسان حيرام ملك صور؟
ــ نعم لقد اعلن الملك ذلك ولكنني لا افهم قصدك
ــ اصبري تفهمي... وهل تعلمين ان السباق الثالث سيكون سباق مركبات ايضا بين خيل سليمان وخيل ابيك التي اتى بها معه من بلاد الاموريين؟
ــ نعم وقد اخبرني ابي بانه واثق من الفوز في السباق، ولكنني اعترف بانني لم افهم قصدك بعد
ــ اصغي الي جيدا ، ولا يفوتنك حرف مما اقول... ان سبا التي تزاحمك على سليمان لا تزال حديثة العهد في ملكها ولا اخالها تعودت مشاهدة سباق بين المركبات بعد، فاذا صدق ظني ورات امامها الرجال تقلب من مركباتها وتموت

قتلا بين ارجل الخيل ، كما حدث مرارا من قبل و كما قد يحدث اليوم، فلا شك في ان الرعب يتسلط على عقلها وقلبها فعندما ياتي دور السباق الثالث ويعلن سليمان ان السباق سيكون بين خيله وخيل ملك الاموريين تقدمي اليه حالا وقولي انك تودين سوق خيل ابيك بنفسك واطلبي الملكة سبا لمباراتك بسوقها خيل الملك سليمان. فاذا رفضت لخوفها من المخاطرة بحياتها سجلت على نفسها الجبن وصغر النفس فتسقط منزلتها امام الجميع ويسطع نجمك مكانها، وان قبلت فانت ولا شك فائزة عليها لمهارتك في سوق الخيل وهذا ايضا مما يخفض من مقامها

لاشك في ان رايك حسن ياادونيا ولكننا لسنا واثقين من انها تجهل سوق الخيل فان كان لها المام بذلك فعملنا يكون نوعا من المخاطرة :

ــ لقد افتكرت بهذا ايضا واتخذت التدابير اللازمة فقد علمت ان الملك سليمان سوف يبقي خيله المصرية السريعة حتى السباق الثالث لتسابق خيل ابيك ، وقد رشوت العبيد القائمين على حراستها ليضعوا في علفها مخدرا خفيفا حتى ترتخي عزائمها عن الركض فيتحقق الفوز لخيل ابيك

فارتسم الفرح على وجه وشتي والجابت ونبضات قلبها تكاد تسمع من شدة التاثر

ــ عوفيت من اجل هذه الفكرة ياادونيا ، فاليوم تسقط تلك اللعينة من شاهق عجرفتها فتمسي متعطشة الى التفاتة من امير جميل باسل نظيرك. اما انا فحسبي ان اسحق كبرياءها

بقدمي ... نعم ساسحقها .. ساذلها . سانتقم منها ،فما احلاك ايها الانتقام

فلما راى ادونيا انه نجح في اقناع وشتي باتباع خطته انصرف عنها وقلبه راقص فرحا وهو يقول في نفسه ـ عن عرشين تنزل اليوم سبا ، عن عرش كبريائها وعن قلب سليمان ، وحلوة تصير لي الحياة اذ ارى سليمان يغمض عينيه عن سبا ويتجرع المرارة ويغص بها . وغدا.. غدا ترتمي سبا على قدمي فاتزوجها وازين راسي بتاج مملكتها فاضارع سليمان غنى وعظمة . نعم غدا، وان غدا لناظره قريب

وبعد وقت قصير كان لادونيا ووشتي سنين طويلة حان موعد السباق فوصل الملك سليمان ومعه زوجته الملكة الماراس واخوه ادونيا والملكة سبا ومنطور وطمران وعدد من قواد الجيش وشيوخ بني اسرائيل وجلسوا على الدكة العالية المنصوبة خصيصا للملك، وكانت في وسط الميدان الذي كان على شكل دائرة بحيث يستطيع الجالس عليها ان يرى المتسابقين اين كانوا في حلقة الميدان . وبعد قليل وصل حيرام ملك صور وسيحون ملك الاموريين ومعه ابنته الاميرة وشتي وجلسوا على الدكة مع سليمان . فلما اكتمل عقد المدعوين وراى الملك ان الشعب قد ضرب نطاقا حول الميدان للتفرج على المتسابقين امر بان يعلن السباق الاول فتقدم المعلن واعلن بصوت عال قائلا

السباق الاول ـ سباق مركبات بين ستة من رجال الملك ثلاثة من يهوذا وثلاثة من بنيامين ـ حد السباق اربع

دورات في دائرة الميدان

وللحال تقدمت المركبات الست الى امام الملك ووقفت لزاء بعضها على خط مستقيم · و كان لكل مركبة ثلاثة من خيرة الجياد مقرونة اليها وسائق واحد له شارة تدل على سبطه· واعطى الملك علامة الابتداء في السباق فانطلقت الجياد تنهب الارض نهبا واخذ الشعب يصرخ محرضا هذا وذاك فلما تمت الدورة الاولى كان السابق احد بني يهوذا غير انه لم يكد يبدا بالدورة الثانية حتى انكسرت احدى عجلتي مركبته فانقلبت به ورمته الى الارض، وقبل ان يتمكن من النهوض كانت المركبات الاخرى قد اقتربت منه ولم يستطع سائقوها تحويل الجياد عنه فراح قتيلا بين ارجل الخيل وعجلات المركبات · فغطت سبا وجهها بيديها معرضة عن هذا المشهد المحزن وارتفعت من الجميع عبارات التاسف على ذلك القتيل الشجاع

ولكن السباق لم يتوقف بل ظل السائقون يحثون جيادهم على الركض والخيل تعدو بهم بسرعة البرق حتى تمت الدورة الثالثة وكان في المقدمة اثنان ، واحد ليهوذا والاخر لبنيامين و كل منهما باذل جهده ليسبق الاخر فلما بلغا منتصف الدورة الرابعة تمكن ابن يهوذا من التقدم على خصمه قليلا ولم تنته الدورة حتى اعلن الملك ان ابن يهوذا هو السابق فهتف الشعب فليحي يهوذا وسر الملك لانه من سبط يهوذا ايضا · ثم تقدم الفائز ووقف امام الملك فاعطاه جائزته كيسا فيه اثنتا عشرة جوهرة بعدد اسباط بني اسرائيل ثم صار السباق الثاني بين فرسان الملك سليمان الاسرائيليين

وفرسان حيرام ملك صور فكان الرابح احد الخيالة الاسرائيليين فهتف الشعب سرورا حتى شقت اصواتهم عنان السماء ٠ والتفت سليمان الى سيحون ملك الاموريين وقال له مازحا

ـ لقد رافق السعد خيلي في السباقين الاول والثاني ولا شك في انني سافوز على خيلك في السباق الثالث

فسمعه ادونيا واجابه وعلى شفتيه ابتسامة خبيثة

ـ ارى الاوفق ان تصبر حتى ينتهي هذا السباق الاخير فان ملك الاموريين قد جاء الينا بخيله السوداء وهذه لم تقهر بعد

فقهقه الملك سيحون ضاحكا اما سليمان فلم يجب الا بكلمة «سنرى» ٠ واذ ذاك وقف المعلن وقال

السباق الثالث ـ سباق مركبات بين خيل ملك الاموريين السوداء وخيل الملك سليمان المصرية ـ حد السباق ثلاث دورات في دائرة الميدان

واذ ذاك وقفت الاميرة وشتي وتقدمت من الملك سليمان وقالت

ـ اذا سمح لي سيدي الملك فانني اسوق خيل ابي بنفسي وحبذا لو ان الملكة سبا تسوق خيل سيدي الملك سليمان فنكون اول امراتين في التاريخ تسابقتا على المركبات ولا اظن الملكة سبا ترفض سوءلي وتمتنع عن المخاطرة بحياتها مثلي ولا سيما اذا كان ذلك لاكتساب حظوة عند الملك العظيم سليمان

فتحير الملك من هذه المفاجاة وكذلك ارتبكت سبا في امرها في بادىء الامر ولكن حانت منها التفاتة الى

ادونيا فراته قد تبادل نظرة مع الاميرة وشتي واخذ يبتسم ابتسامة كلها خبث ومكر فادركت سبا بذكائها ان في الامر تدبيرا ولكنها تجاهلت ذلك واجابت بهدوء

— انني لا اتمنع عن اجابة سوءل الاميرة وشتي ولكنني التمس من الملك سليمان ان يسمح لي بسوق الخيل العربية البيضاء التي جئت بها من بلادي وقدمتها الى الملك هدية فكما ان الاميرة وشتي ترغب في سوق جياد بلادها كذلك انا افضل ان اسوق خيل بلادي اذا سمح لي الملك

فاصفر وجه ادونيا عند سماعه هذا الكلام لانه كان قد رشا العبيد ليضعوا المخدر في علف الخيل المصرية ولم يحسب لخيل سبا العربية حسابا . اما الاميرة وشتي فاعتراها الخبال واخذت تلتفت تارة الى ادونيا وطورا الى ابيها ورأى ابوها ما خامرها من الياس ، وكانت قد اطلعته على الدسيسة ، فبادر لنجدتها بقوله للملك سليمان

— ان المفهوم ان يكون السباق بين جيادي السوداء وجيادك المصرية وليس من الانصاف ان يصير هذا التبديل الان

فادرك الملك سليمان ان وراء الاكمة ما وراءها فاجابه قائلا

— ما الفرق عندك ؟ ان الغاية هي ان يكون سباق بين خيلك وخيلي ولي الحق ان اقدم الخيل التي اريدها الى الميدان

ثم امر عبيده بان ياتوا بثلاثة من الجياد العربية ويقرنوها الى مركبة الملكة سبا وما هي الا برهة وجيزة حتى وقفت

المركبتان على استعداد فاقترب ادونيا من الأميرة وشتي وقال لها مشجعا

ــ لا تخونك عزيمتك فانك امهر منها في سوق الخيل ولا شك في انك تنالين الفوز عليها

اما منطور وطمران فاخذتهما الحيرة من قبول سبا بالنزول الى الميدان فتقدم منطور اليها وقال بصوت يكاد لا يعلو عن الهمس

ــ ماذا انت فاعلة ايتها الملكة، الم تري ذلك الرجل يسحق سحقا تحت ارجل الخيل ؟

فابتسمت سبا واجابت

ــ لا تخف علي يا منطور فان ما تعلمته من طمران عن ركوب الخيل وسوقها كاف لان يعطيني الغلبة على الاميرة وشتي

ثم اومات الى طمران بالاقتراب منها وقالت له

ــ وانت يا عزيزي طمران قل لمنطور ان لك الثقة بان تلميذتك ستفوز

فظهرت على شفتي طمران ابتسامة خفيفة عندما سمع الملكة تخاطبه بهذه اللهجة واجاب قائلا

ــ سيدتي الملكة ، انك ولا شك فائزة واقول هذا اعتمادا على انك سبقتني مرتين مع ما لي من الخبرة في هذا الفن وبالرغم من انني معلمك ركوب الخيل وسوقها، انما لي نصيحة واحدة وهي ان الخيل التي جئنا بها الى الملك سليمان لا تطيق ان يسبقها سابق لانها هكذا تعودت فلا تضربيها بالسوط ولا تحثيها كثيرا على الركض بل

دعي الاميرة وشتي تسبقك قليلا بخيلها في اول الامر فاذا رات افراسك ان امامها خيلا تركض هاج ثائرها وانطلقت بك انطلاق السهام فلا تدرين الا وانت فائزة

وكانت الاميرة وشتي قد نزلت الى مركبتها ووقفت على استعداد فجاء الملك سليمان وامسك بيد الملكة سبا وانزلها الى مركبتها وقال وفوءاده يكاد ينفطر خوفا عليها

ـــ سبا ٠٠ لا يهمنك ان تكوني خاسرة انما احتفظي بحياتك

فضحكت سبا ووقفت في مركبتها وقالت بصوت عال

ـــ انني سافوز لمجد سبا

فاخذت الحماسة منطور وطمران فهتفا

ـــ نعم لمجد سبا ٠٠٠ فلتحي سبا

واذ ذاك اعطى الملك علامة الانطلاق فانطلقت الجياد بالمركبتين بسرعة البرق واشرابت الاعناق تشوقا لروءية هاتين الامراتين المخاطرتين بحياتهما في سباق لم يسبق له نظير في التاريخ

وتمت الدورة الاولى فكانت الاميرة وشتي السابقة باذرع قليلة فعلا الهتاف من محبيها وتمايل ابوها طربا وارتسم الفرح على محيا ادونيا وظهر الاضطراب على الملك سليمان٠ اما طمران فلم تتزعزع ثقته ببسابل بقي هادئا يراقب الخيل وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة ٠ فلما تمت الدورة الثانية كانت العربتان جنبا الى جنب فلم يتمالك سليمان نفسه عن الهتاف محرضا سبا وتبعه في هتافه منطور وطمران وبقي الشعب منقسما هذا لسبا وذاك لوشتي ٠ اما ملك الاموريين

وادونيا ففارقهما سرورهما وصارا يراقبان السباق شبرا شبرا . فلما تمت الدورة الثالثة والاخيرة كانت سبا قد سبقت الاميرة وشتي بنحو ثلاثة اذرع فصار الشعب كله لسبا واخذوا يهتفون فلتحي سبا . وهجم عدد من الرجال الاشداء فحملوا سبا بمركبتها على اكتافهم وصعدوا بها الى الدكة حيث كان الملك سليمان جالسا . فانزلها الملك عن المركبة واجلسها الى جانبه واعلن انها هي الفائزة وقد اضافت مجدا جديدا الى امجاد سبا واسرائيل

الفصل الرابع عشر

الغيرة ابنة الحسد والبغضاء ، وهي كالنار تكون احيانا كامنة فاذا حركت او نفخ فيها اضطرمت واندلعت السنة لهيبها فاما ان تتناول وتمضغ ما امامها وتتفله رمادا ، او تظل في اشتعالها وثورانها الى ان تفني ذاتها بذاتها . وليس في العالم اشقى من قلب تملكته الغيرة وصارت انشودته الانتقام

وقلب الاميرة وشتي كان مملوءا من هذه الغيرة . وقعت اول شرارة فيه عندما تركها عرمود ليتزوج سبا بدلا منها ، وعندما جاءت سبا الى اورشليم وغدت شغل الملك سليمان الشاغل تحولت شرارة الغيرة في فؤاد وشتي الى نار ولكنها ظلت كامنة ، فلما نالت الملكة سبا الفوز عليها في السباق كان ذلك محركا مهيجا لتلك النار ، ولو اتيح لوشتي

الفتك بمزاحمتها لما تاخرت عن ذلك لحظة ولكن انى لها ذلك وسبا عند سليمان كالحدقة من العين

غير ان وشتي لضعفها النسائي ما كانت لتقوى على اخفاء ما اعتراها من شدة القهر، فانخذالها في السباق وفي عيني سليمان لم يكن بالامر الذي يسهل احتماله على امراة مطمعها ان تصير يوما الملكة في اسرائيل ، فلم تكد حفلة السباق تنتهي حتى اسرعت وشتي الى غرفتها واخذت تنتف شعرها وتمزق ثيابها كالمجنونة ، تارة تبكي وطورا تصر على اسنانها من الغيظ وتتوعد سبا بالموت

ولم يكن ادونيا باقل منها مرارة ولكنه لكونه رجلا وجنديا قوي على اخفاء ما في قلبه من الغيظ وازداد عزمه على متابعة مسعاه • ولكي يسهل على نفسه ايجاد وسيلة جديدة للحول بين سليمان وسبا اعتزل قصر الملك نحو يومين واخذ يحتسي الخمر مع البعض من اعوانه ، والخمر في احوال كهذه اقوى ما يؤثر على العقول والقلوب• وقد اختبر ادونيا تاثيرها مرارا من قبل فصار يلتجيء اليها كلما اراد استدعاء قواه العقلية جميعها لمساعدته في مسعى من المساعي

ولقد اصاب ظنه في هذه المرة ايضا فانه لم يشرب من الخمر الا القليل حتى خطرت له فكرة جديدة تنم عن ياس خامر فؤاده ، ونجاحها يؤدي اما الى قبول سبا به زوجا او ابعادها عن سليمان بعدا دائما • وراى ان يتخذ الاميرة وشتي معينة له هذه المرة ايضا فاسرع اليها وفؤاده مفعم سرور العثور على ما ينيله مبتغاه

وكانت وشتي في حالة من الياس شديدة واثار الدموع باقية على عينيها فحالما دخل ادونيا عليها ورآته يبتسم علمت انه ات اليها بما يسرها فبدات بالكلام قائلة

ــ اراك تبتسم يا ادونيا كانك واثق من سعدك

ــ لدي خطة جديدة يا وشتي وانني واثق من نجاحنا هذه المرة

ــ لا تقل انك واثق من النجاح حتى تنجح. الم تر كيف دارت الدائرة علينا في حفلة السباق ؟

ــ اقر لك يا وشتي بان تدبيرنا وقتئذ كان ناقصا غير ان ما خطر لي هذه المرة لا بد من نجاحه، انما عليك يتوقف قسم كبير من النجاح

ــ انني مستعدة للقيام باي شيء انال به الانتقام من سبا فاخبرني بخطتك لارى ماذا يجب علي ان افعل

ــ خطتي بسيطة هذه المرة يا وشتي غير ان نتيجتها ستكون نهائية وهذه هي . ساذهب الى سبا واعرض عليها وجها لوجه امر الزواج بي فان قبلت اسافر واياها الى بلادها فيخلو لك الجو مع سليمان ، اما اذا حدثتها كبرياؤها بالرفض فليس لنا الا ان نوهم الملكة اماراس ان سليمان سوف يطلقها ويتخذ سبا ملكة بدلا منها وان الطريقة الوحيدة لمنع ذلك هي بالتماس المعونة من ابيها فرعون ملك مصر فاذا انطلت الحيلة على الملكة لماراس وارسل فرعون يتهدد سليمان بالحرب اذا طلق ابنته فلا شك في ان الملكة سبا تضطر الى الرجوع الى بلادها منعا لنشوب الحرب، واكتفي انا بان اكون قد فرقت بينها وبين سليمان

ـ الفكرة حسنة بلا شك يا ادونيا واقناع الملكة اماراس سيكون سهلا علي فانني على يقين من ان شرارة الغيرة قد حلت في قلبها منذ قدوم سبا الى اورشليم وليس علي سوى النفخ قليلا لاثارتها ٠٠٠٠ ولكن متى تتوقع مفاتحة سبا بامر الزواج ؟

ـ اليوم فانني لا ارى فائدة من التاجيل

ـ اذهب ولا تنس انني هنا بانتظارك على احر من الجمر لاعرف النتيجة

فتركها ادونيا وذهب يبحث عن الملكة سبا في انحاء القصر فابصر اخاه الملك سليمان راجعا من الهيكل فاسرع ادونيا اليه وقال له بلهجة دلت على فروغ جعبة صبره

ـ لي كلمة معك يا اخي وغاية ارجو منك مساعدتي في الوصول اليها

فلم ترق لهجته لسليمان ولكنه تكلف الابتسام واجاب

ـ قل ما تريد يا اخي لارى ان كان باستطاعتي مساعدتك

ـ انني ارغب في اتخاذ الملكة سبا زوجة لي واسالك مساعدتي بالنصح لها بالقبول

فتوقف سليمان هنيهة عن الجواب ولو لم يكن قويا على كبح جماح انفعالاته لظهر عليه اضطراب شديد ولكنه اجاب بهدوء وقد فارقته ابتسامته

ـ انني لاعجب من جراتك هذه يا اخي ٠ الا تدري بان الملكة سبا بوسعها ان تصير زوجة لاعظم ملك في العالم اذا شاءت ٠ ان نفسك قد حدثتك بالمحال

فاستشاط ادونيا غيظا عند سماعه هذا التوبيخ من اخيه

واجاب والحدة آخذة منه كل ماخذ

ــ نعم بوسعها ان تتزوج اي ملك ارادت ولكن اعلم انني لن اطيق ا نيكون ذلك الملك انت فاحذر

قال هذا وانثنى راجعا عن سليمان ليتابع بحثه عن سبا حتى وصل الى حديقة القصر واذا بسبا مقبلة نحوه تمشي الهويناء بين صفين من الورود الجميلة فعندما راها ادونيا تملك على اضطرابه واخذ يحدق اليها بعينين ممتلئتين شوقا وهياما ــ وراته سبا مثبتا نظراته فيها فبدات بالكلام قائلة

ــ ما لك تطيل نظراتك الي يا ادونيا ، أأزعجتك روءيتي فجاة ام لعل لديك ما تريد اطلاعي عليه ؟

فابتسم ادونيا واجاب بكل ما بوسعه من الرقة

ــ لقد اصبت يا سبافلدي ما اريد اطلاعك عليه وفوءادي لا يطيق صبرا • اتذكرين ذلك اليوم الذي لاقيتك فيمخارج اسوار اورشليم ? لئن نسيته انت فانا لن انساه ففيه عرفت الحب وفيه نفذت سهام لحظك الى قلبي فصرت اسير هواك ، فهلا بادلتني ذلك الحب• نعم انني لست ملكا ولكنني جندي باسل وامير نبيل في اسرائيل فاذا قبلت بي زوجا رافقتك الى بلادك وساعدتك في الحكم على رعيتك • انني بانتظار جوابك يا مليكتي ••• قولي ان الملكة سبا الجميلة ترضى بان تتزوج الامير ادونيا الباسل النبيل

وكان الاضطراب قد بدا على سبا قليلا في بادىء الامر من هذه المفاجاة ولكنها ما لبثت ان سكنت تماما فاجابت ببرود

ـ ولكنني لم افكر بامر الزواج قط يا ادونيا

ـ لم تفكري بالزواج قبلا لانك لم تري رجلا يليق بك اما الان فان ما يرافق اسمي من شرف النسب وعلو الهمة والشجاعة والاقدام كاف لان يغريك على التفكير بالزواج

ـ ربما كان هذا كله صحيحا يا ادونيا ولكنني اعود فاقول انني لا ارغب في الزواج بعد

وخطت سبا تريد الابتعاد عنه فاوقفها ادونيا وقد فارقته رقته وقال وصوته يرتجف من الغضب

ـ لقد عرفت سبب رفضك فانك تحبين سليمان

ـ ليس هذا من شانك فدعني وسبيلي

ـ انك لن تذهبي من هنا حتى اطبع قبلة على ثغرك الجميل واظفر منك بوعد انك تقبلين بي زوجا

ـ احذر من ان تمسني فانني اذا صرخت مستغيثة تراكض الحراس لاغاثتي وجلبت على نفسك عارا

ولكن ادونيا لم يردعه تحذيرها فهجم عليها يريد تقبيلها عنوة فصرخت سبا مستغيثة • وكان سليمان واقفا في شرفة مطلة على الحديقة يراقب ادونيا ليرى النتيجة فلما راه ينوي اغتصاب قبلة من سبا وسمعها تستغيث نزل الى الحديقة مهرولا ووصل راكضا الى حيث كان الاثنان وامسك بكتف ادونيا ودفعه عن سبا وقال له بلهجة الغاضب

ـ ويل لك ايها الاحمق، الى كم احتمل اناتي عليك ولا ترتدع • اغرب عنا حالا والا فانني قد انسى انك اخي وانزل بك عقابا شديدا

فوضع ادونيا يده على قبضة سيفه يريد تجريده في وجه اخيه ولكنه تذكر الخطة التي رسمها فارجع يده كما كانت واجاب متهكما

ــ اعذرني يا اخي المحبوب فانني عندما طارحت سبا الغرام لم ادر بان اخي يريدها لنفسه

وحول وجهه مبتعدا عن سبا وسليمان والغضب يسوقه سوقا الى الاميرة وشتي لتتميم خطته الشريرة

ولم يكد يغيب عن العيان حتى تقدمت سبا من سليمان ووضعت يدها على كتفه وقالت بلهجة الدلال وعيناها محدقتان الى عينيه

ــ اصحيح ما قاله اخوك

فلم يستطع سليمان احتمال النظر الى عينيها فحول بصره عنها قليلا واجاب

ــ انني لا افهم ماذا تعنين

ــ لقد قال ادونيا انك تريدني لنفسك فهل هذا صحيح؟

ــ سبا ... ارجو منك ان لا تساليني هذا السؤال

ــ ولكنني اريد ان اعرف .. قل

ــ اتوسل اليك يا سبا

ــ لا تتوسل الي فانك ملك عظيم والملوك لا يتوسلون انما قل نعم ام لا

فبدا على سليمان اضطراب عظيم وفارقه ذلك الهدو الجليل الذي اعجبت به امم الارض واخذ صدره يرتفع وينخفض بسرعة من شدة التنفس واخذ يتكلم كمن يخاطب نفسه ونبضات قلبه تكاد تسمع من شدة التاثر

ــ ويلي ٠٠ ويلي ٠٠ ان ادونيا لم ينصفني ٠٠ جاهدت وجاهدت واسدلت فوق قلبي غشاء من الصبر والجلد لاخفي عن نفسي وعن العالم ما حل بي من الالم فجاء اخي ومزق الغشاء تمزيقا ٠٠٠ الهي ٠٠٠ الهي ٠٠ انني اليوم في حاجة الى معونتك فامنحني القوة

ثم التفت الى سبا وقال محاولا تسكين اضطرابه

ــ سبا ٠٠٠ اعذريني اذا بدوت امامك ضعيفا فانا الان لست سليمان العظيم ملك اسرائيل ولكنني سليمان الشاب ولي ما لباقي الشبان من قوة وضعف ونفس وقلب وشواعر

فابرقت اسرة سبا فرحا وهجمت فطوقت سليمان بذراعيها وقالت وعيناها شاخصتان الى عينيه

ــ ان كان حبك لي ضعفا فانا اريدك ان تكون ضعيفا انما لا تخاطبني بالالغاز بل ضمني الى صدرك وقل لي انك تحبني فانا لهذا قد بقيت في اورشليم حتى اليوم ٠٠٠ سليمان ــ قل اريدك ان تتلفظ بالحب

فلم يستطع سليمان الا وان يستسلم لتلك القوة الساحرة فضغط على كتفي سبا بيديه واجاب

ــ سبا ٠٠٠ سبا ٠٠٠ انني ٠٠٠

ولكن جملته لم تتم لان شفتيه لصقتا بشفتيها

الفصل الخامس عشر

لم تكن سبا المراة الجميلة الاولى التي راها سليمان في حياته فقد كان له من النساء عدد غير قليل من سيدات وسراري ، و كلهن جميلات ، ولكن التزوج في تلك الايام وعلى الاخص عند الملوك وذوي اليسار ، لم يكن عن حب كما هو الغالب في ايامنا الحاضرة وانما كانوا يتزوجون ويكثرون الزوجات اما للظهور بمظهر العظمة او مراعاة للعلائق السياسية والتجارية بين بلاد والاخرى • ولما كانت بلاد اسرائيل محاطة بممالك كانت كلها معادية لها في اول عهد داود اضطر ابنه سليمان الى التزوج بالكثيرات من اميرات البلاد المجاورة حفظا للسلام الذي كان ينشده ولم يتخذ اماراس ابنة فرعون لتكون الزوجة الملكة الا لان بلاد مصر كانت ذات سطوة حربية كبيرة فبمصاهرته فرعون اوجد صداقة وسلاما بين المملكتين

على ان للحب سلطانا لا يبالي بعظمة الملوك ولا تهمه العلائق السياسية ولا غيرها ، فهو متى راى قلبا ينبض بقوة الصبا دخل اليه فتسلط عليه واستعبدّه وتركه في شاغل عن كل ما سواه في العالم • ولم يكن سليمان وسبا خارجين عن هذا القياس فالصبا كان يدعوهما كليهما الى الحب فاجابا كباقي العالم دعوة تلك القوة السحرية • فتناست

سبا بلادها واخذ سليمان في اهمال الكثير من شؤون مملكته فاهمل حتى الملكة اماراس نفسها • وهكذا مرت على الحبيبين ايام لا يستطيع تصورها إلا من تناول جرعة من خمرة الغرام

وكانت الملكة اماراس عالمة بان الاسرائيليين لا يحبونها ولكنها لم تعر الامر اهتماما كبيرا لانها كانت الملكة ارادوا او لم يريدوا ، والفخر بان تكون الزوجة الملكة للملك العظيم سليمان كان كل مشتهاها ، فلماذا الاهتمام بغير ذلك من الامور ? هكذا كان موقفها ايضا عندما رات من سليمان ميلا الى سبا • لعبت الغيرة في قلبها قليلا،شان كل امراة ترى لها مزاحمة على قلب زوجها ، ولكنها لبثت معتصمة بكبريائها ، مترفعة عن التنازل الى الاهتمام بشؤون سليمان الغرامية ، مكتفية بانها هي الملكة في بلاد اسرائيل وان تكن عجزت عن التملك على قلب سليمان

ظلت اماراس كذلك حتى جاءتها الاميرة وشتي مدفوعة من ادونيا كما سبق الكلام واخذت توهمها ان سليمان ينوي تطليقها واتخاذ سبا ملكة بدلا منها ليتمكن من ضم بلاد سبا الى مملكة اسرائيل • فانطلت الحيلة على اماراس واعتقدت بصحة ما قالته لها وشتي فثار ثائر كبريائها وارسلت احد رجالها المصريين رسولا الى ابيها فرعون تطلب اليه الاسراع في اتخاذ وسائل لمنع وقوع عار الطلاق عليها

اما سليمان فلم يكن لديه متسع من الوقت للوقوف على امور كهذه بل ظل منصرفا بكليته الى اقامة الحفلات لحبيبته سبا وبثها ما بقلبه من لواعج الوجد والهيام

فالحب اول ما يكون مجانة فاذا تمكن صار شغلا شاغلا
غير ان للزمان احكاما لا تردها نبضات القلوب ولا ابتسامات المحبين . ففي ذات يوم بينما كان سليمان جالسا على عرشه يستقبل وفودا جاءوا اليه بالجزية والى جانبه سبا تتامل عظمته وترمقه بنظرات مشتعلة بنارالغرام اذا باصوات الابواق قد ارتفعت في الخارج معلنة قدوم زائر ودخل رئيس الحجاب واعلن قائلا

ــ ان في الخارج رسولا من فرعون ملك مصر يرغب في مقابلة الملك العظيم سليمان

فابتسم سليمان حاسبا ان فرعون قد ارسل اليه هدية واجاب قائلا

ــ دعه يدخل

وما هي الا لمحة حتى دخل رجل تدل هيئته على انه رجل حرب ووقف امام الملك وخاطبه بجاش ثابت قائلا

ــ لقد انتدبني سيدي فرعون العظيم ملك مصر لاحمل الى الملك سليمان بلاغا خطيرا

فانتفض سليمان عند سماعه كلمة «بلاغ» واجاب والاهتمام باد على وجهه

افصح في كلامك فانني لا ادري ماذا تقصد ... ما هو هذا البلاغ الخطير ?

فاجاب الرسول وهو باق على ثباته

ــ لقد وصلت الى مصر اشاعات مفادها ان الملك سليمان ينوي تطليق الملكة اماراس ابنة سيدي فرعون ليتخذ ملكة سبا زوجة تكون ملكة على اسرائيل بدلا منها . فان

كان هذا الخبر صحيحا فان سيدي فرعون يريد ان يبلغ الملك سليمان ان جيوش مصر مستعدة للمدافعة عن كرامة الملكة اماراس ودفع عار الطلاق عنها

فساد السكون في القاعة عندما تلفظ الرسول بهذه الكلمات واخذ ادونيا ينظر الى اخيه شذرا وفؤاده يكاد يطير سرورا لنجاح خطته الخبيثة • وتملك سبا اضطراب عظيم في بادىء الامر فاخذت تنظر تارة الى سليمان وطورا الى الرسول وهي تكاد لا تصدق انها في يقظة لا حلم • اما سليمان فاصفر وجهه من الغيظ ولكنه امتلك عنان نفسه واجاب بثبات قائلا

ـــ ان الملكة اماراس لم تزل زوجة الملك سليمان وكرامتها محفوظة في جميع بلاد اسرائيل ولكن يجب ان يعلم فرعون اننا نعرف حقوقنا وواجباتنا واننا لا نقبل بل لا نطيق تهديدا من احد ما حتى من فرعون نفسه

ـــ اذن ماذا احمل جوابا الى سيدي فرعون ، هل اقول له ان بلاد اسرائيل ترغب في السلم ام في الحرب؟

وكانت سبا قد تملكت على نفسها وعادت جراتها اليها فقبل ان يجيب سليمان على هذا السؤال وقفت هي واجابت الرسول قائلة

ـــ قل لسيدك فرعون ان ملكة سبا ترجع الى بلادها غدا

فوقعت كلماتها على سليمان وقوع الصاعقة فالتفت اليها وقال والقلق ظاهر عليه

ماذا تقولين ايتها الملكة

ـ لقد عنيت ما قلت فارجو من الملك ان يقبل بكلامي جوابا لفرعون

فلم يدر سليمان بماذا يجيبها وشعر بانه عاجز عن حل هذا المشكل الفجائي فخضع لارادة سبا وقال للرسول

لقد عرفت الجواب ايها الرسول فاحمله الى سيدك فرعون

فانحنى الرسول وخرج من لدن الملك قاصدا الملكة اماراس حاملا اليها تحيات ابيها

اما سليمان فاحس باحتياجه الى الخلوة مع سبا قليلا ليستفسر منها فعلها فامر بان يخرج الجميع من القاعة فاطاعوا الامر وما هي الا برهة وجيزة حتى لم يبق هناك سواه وسبا فالتفت اليها وامسك بيديها وقال وعيناه تبديان ما تسرب الى فوءاده من القلق

ـ سبا ... ما هذا الذي فعلته ، ولما عزمت على الرحيل ؟ اترى نسيت غرامنا وعهودنا ؟ سبا .. قولي انك لست راحلة غدا .. قولي ان سليمان الذي دعوته البارحة حبيبك لا يزال حبيبك اليوم

فاطرقت سبا براسها تريد اخفاء ما ظهر في عينيها من تاثير الموقف واجابت

ـ انني برحيلي عنك امنع نشوب الحرب بين مصر واسرائيل . امن اجل امراة تعرض بلادك وحياتك للخطر ؟

ـ ويلاه يا سبا ان كلامك حق ولكنه قاس .. قاس على قلب اوهنته سهام الغرام فغدا يتطلع اليك ليستمد عزما جديدا ... قاس على رجل حسب ان في لبس التاج

قوة وعظمة وسعادة فعند الحاجةاليها لم يجد الا ضعفاوحسرة وشقـــاء

ـــ لست انا القاسية يا سليمان فاني احبك وذكر الفراق يوءلمني ٠٠ ولكن يجب ان لا ننسى ان تاجك وعرشك يحولان بيني وبينك فانك ما زلت ملكا فانت المسوءول عن خير بلادك ، فلماذا تجلب عليها حربا وشقاء ؟ اما لو كان بوسعك رمي التاج وهجر العرش لقلت لك اجذبني وراءك فنجري ولصحت حبيبي لي وانا له وهذا هو حبيبي يا بنات اورشليم ، ولكن ٠٠٠

ـــ اواه يا سبا ٠٠٠ لا تزيديني الاما بتذكيري بالتاج والعرش فهما مصدر ما اعانيه الان من الشقاء ٠٠ اه لو تدرين ٠٠ لقد قطعت على نفسي عهدا امام الرب حينما مسحت ملكا بانني اكون لشعبي وللرب كل ايام حياتي والان ٠٠٠ الان اجد ذاتي اتمزق بين قوتين ، فاما ان ابقى لشعبي ولالهي فاحرم منك، او ان اتخلى عن الملك واتبعك فتحل علي نقمة اله اسرائيل ٠٠٠ الهي ٠٠ يهوه امل الي اذنيك فانني الان بائس وضعيف فاعضدني بقوتك

فلم تطق سبا ان ترى سليمان يتمزق ياسا فامسكت بذراعه والقت راسها على كتفه وقالت بصوت يتهدج من شدة الانفعـــال

ـــ سليمان ٠٠ حبيبي ٠٠٠ انني واثقة من حبك لي ويجب ان تثق انت ايضا من حبي لك ولكنني لا اقوى الان على متابعة احتمال هذه الالام فاتركني الان يا

حبيبي وانتظرني الليلة على الشرفة بعد ان ينام الجميع فاوافيك لاودعك

— سا نتظرك يا من احبتك نفسي انما دعيني معك الان قليلا لاروي عيني من النظر اليك ... انك جميلة يا حبيبتي .. انك جميلة وعيناك حمامتان. شفتاك كسلكة من القرمز وفمك حلو . عنقك كبرج داود . كلك جميل يا حبيبتي وليس فيك عيب... انشري ذوائب شعرك يا صبا فانني لم ار شعرك محلولا بعد

فاطاعت صبا اشارته وارخت شعرها الاسود الطويل البراق المتموج فانسدل على كتفيها وظهرها فامسك سليمان بيدها وقادها الى العرش فاجلسها عليه وجثا هو عند قدميها وقال

— اجلسي على هذا العرش يا مليكتي فانه لمثلك قد بني اه ما اجملك الان .. شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد . وكسوسنة بين الشوك كذلك انت يا حبيبتي بين البنات ... وما اجمل هذه القلادة في عنقك . حولي عني عينيك فانهما قد غلبتاني ... دعيني اقبلك فقبلاتك اطيب من الخمر .. دعيني اقبلك ثم اذهب لاكتساب قوة تساعدني على احتمال الوداع في هذه الليلة

فلم تقو صبا على الجواب واغمضت عينيها من شدة التاثر فلم تشعر الا وذراعا سليمان يطوقانها وشفتاه تلصقان بشفتيها ولما فتحت عينيها كان سليمان قد خرج من القاعة

ورات نفسها جالسة على العرش فقامت عنه متمرمرة واخذت تخاطبه قائلة

— اه منك ايها العرش ... انت المفرق بيني وبين

حبيبي فانا اكرهك ٠٠ ما انت الا قيد ليد الحب فليتك لم تكن ٠٠٠ اه لو اتيح لي تحطيمك ٠٠٠ ولكن لا ٠٠ لا فعليك يجلس حبيبي ،وعلى راسك يسند راسه المثقل بالتاج ٠٠٠ فلتدم ايها العرش من اجل حبيبي ومن اجل هنائه

ولم تطق البقاء طويلا هناك فخرجت وعيناها مغرورقتان بالدموع واسرعت بالابتعاد عن تلك القاعة التي فيها حكم الدهر بالفراق وتجرع المرارات في الحب

الفصل السادس عشر

اصعب مرارة يتجرعها الانسان في حياته هي الاولى واصعب المرارات جميعا مرارة الفراق ٠ نشا سليمان في حضن المجد والدلال فكان اعز ولد عند داود ابيه ومعبودا لبثشبع امه فلم يلق من الحياة في صغره الا الحلاوة والهناء ثم تقلد الملك واعطي حكمة عظيمه فكبر شانه وهابته شعوب الارض فلم يلق في شبابه الا المجد والصفاء٠٠ فلما جاءت سبا اليه وجاء الحب معها زادت حياته حلاوة فقال ان الحياة شباب وحب وسعادة ، فلما راى على حين غفلة ان الفراق يهدده انقلبت الحلاوة مرارة واخذت نفسه ترتعش جزعا كلما راى الفراق مكتوبا على لوحة القدر

ولكن بقي له امل صغير فان سبا ستلاقيه الى الشرفة بعد ان يخيم الليل وينام من في القصر فلربما تمكن من اقناعها بالبقاء ٠ فاخذ يتمشى في غرفته ذهابا وايابا رامقا الشمس من النافذة بين كل اونة والاخرى متململا من

ابطائها في سيرها نحو المغرب • وكأن الشمس ادركت ما في فؤاده فبدات بلم اذيالها الذهبيةعن الجبال المحيطة باورشليم وغابت مرسلة اخر شعاعة منها لتنعكس على قبة الهيكل كانها ارادت ان تذكر سليمان بان هناك يعطى الرجاء والهناء للعالمين

وهجم الليل بجيوشه فلم يطق سليمان البقاء في غرفته فاسرع الى الشرفة لينتظر حبيبته وان لم يكن الوقت قد حان بعد • وكان القمر قد تربع على اريكته بعظمة الملوك منيرا حديقة القصر باشعته الفضية والنجوم حوله تتلالا مالئة الافق رونقا وجمالا • ولكن سليمان لم يكن هناك ليتمتع بمراقبة القمر والنجوم ولا لتنشق النسمات العليلة المعطرة من ازاهر الحديقة • بل كان في شاغل عن كل شيء سوى حبيبته

وانتصف الليل وسبا لم تات بعد فكاد سليمان يجن من الصبر واخذ يسلي نفسه باستماع حفيف اوراق اشجار الحديقة • وبعد برهة كانت على قلبه اجيالا سمع وقع خطوات خفيفة فالتفت الى جهة الصوت فراى سبا مقتربة منه وعليها رداء حريري ابيض رقيق وعلى خصرها منطقة مرصعة باللالىء الثمينة وعلى راسها اكليل تزينه الجواهر النادرة المثال

فاخذ سليمان يحدّق اليها وهو مبهوت من هذا الجمال الفتان ولم يشعر الا وقوة سحرية اوحت اليه ان يجثو امامها ويمد يديه نحوها كالعابد امام معبوده • وانحلت عقدة لسانه فخاطب سبا بصوت مرتعش قائلا

ـــ اجلسي امامي على هذا المقعد يا مليكتي وناوليني يدك لاضغط عليها بين يدي عسى يسري اليك ما بي من الشغف ... رباه... ما هذا الجمال الذي انت بادية فيه الان ... اتيت لتعذيبي بسهام الوداع ام لتبشريني بانك عزمت على البقاء مع حبيبك ؟

ـــ لتوديعك جئت يا سليمان اذ لا سبيل الى البقاء فانه لاهون لدي ان يسحق قلبي سحقا من ان اكون سببا لاثارة الحرب بين مصر واسرائيل ... ولكنني قبل الوداع اريد منك ان تثق بي وبعظيم محبتي وثباتي على العهود ... انني ارى في اصبعك خاتما فهل تسمح لي به لالبسه تذكارا منــك

ـــ ان هذا الخاتم خاتم داود ابي يا سبا ولكنه لا يمنع عنك وها هو .. دعيني اضعه في اصبعك واذكري كلما نظرت اليه ان بين جنبي سليمان قلبا لا ينبض الا بحبك وذكراك

قال هذا ووضع الخاتم في اصبعها وضغط على يدها بكلتي يديه وطبع عليها قبلة حارة فوضعت سبـــا يدها الاخرى تحت ذقن سليمان رافعة وجهه نحوها حتى التقت عيناه بعينيها وقالت

ـــ انني ساقطع لك عهدا يا سليمان فاسمع .. عهدا البسه خاتما على قلبي كما لبست خاتمك في اصبعي فاصغ الي وردد ما اقول

«ان سبا التي لم تحب رجلا قبل سليمان تقطع على نفسها عهدا انها لن تحب رجلا بعده ولن تتزوج غيره وان يكن

في ذلك حرمان بلادها من وريث يرث الملك بعدها»

فذعر سليمان عند سماعه هذا القسم وبقي برهة جامدا يراجع كلمات سبا ويتمعن فيها ثم انتفض كمن افاق من غفلة وقال وهو يلهث من فرط ما ناله من الانفعال

ــ كلا يا سبا ··· كلا ·· اتدرين ما تقولين ؟ · ان هذا لن يكون ···لن يكون··· انني افضل ان تنسي سليمان وغرامه من ان تحكمي على نفسك بهـذا الحكم وتحرمي بلادك من وريث يملك بعدك

ــ كلا يا سليمان فلن اتزوج غيرك ··· الم تلبسني خاتمك منذ هنيهة ··· انك عريسي يا سليمان والقمر والنجوم شهود على ما اقول فاجعلني كخاتم على قلبك واعلم بان محبتي لك قوية كالموت ــ

ــ ومحبتي ايضا قوية كالموت يا سبا ··· لهيبها لا تطفئه المياه الكثيرة ·· تقولين انني عريسك ·· فانت ايضا عروسي··· نعم عروسي فما احسن حبك ايتهـا العروس ··· شفتاك يا عروس تقطران شهدا ورائحة ثيابك ذكية كرائحة لبنان ··· دعيني اسند راسي اليك فانني معيى من فرط ما الم بي من التبريح

وقام سليمان عن الارض حيث كان جاثيا وجلس بجانب سبا على المقعد مسندا راسه الى راسها وملصقا خده بخدهـا

وكانت النسمات العطرية العليلة تهب على وجهيهما من الحديقة

والليل سائد بسكونه فلم يسمع سوى تنفسهما

فامتزجت نفـاهما بذلك السكون الجميل
فكانت انشودة قلبيهما
الليل قد ساد والاحياء نائمة والحب لا غيره مستيقظ فينا
واغمضا اعينهما ليحلقا في عالم الخيال والحب
ولكن النعاس خدعهما
فلما فتحا اعينهما كان الفجر قد انبثق

* * *

لم تطلع شمس اليوم التالي الا لتشهد كيف يضحى الحب من اجل الواجب وكيف تتمزق القلوب

كـان الموكب على استعداد للرحيل عن اورشليم فصعدت سبا الى هودجها وهي تخفي تحت ابتساماتها للشعب الما لم يكن ليخفى على عين منطور النقادة، ولوحت بيدها تلويح الوداع نحو شرفة القصر حيث كان سليمان بلا حراك ، ولولا قطرات من الدموع كانت تنحدر على خديه لكان كالصنم .

واعتلت الفرسان جيادها فسار الموكب على مهل نحو سور المدينة . وكان طمران راكبا على جواده والياس باد على محياه فاقترب من منطور وقال بصوت يكاد يكون مخنوقـا

ــ انني تعيس يا منطور فانني ارى ولكنني احاذر ان افهم ... اه كم اتمنى لو ....

ولم يقو على تكملة كلامه . فوضع منطور يده على كتف الشاب واجاب والتاثر باد في صوته

ــ اخنق غرامك يا طمران ... لا تحقد عليها بل ترفق

بها ولا تثن قلبك عن الاخلاص لها فهي اليوم اشد منك تعاسة فالقدر الذي حرمك اياها قدفرق ايضا بينها وبين زوجها

فاطرق طمران براسه كي يخفي الدمع الذي ترقرق في عينيه واخذ يردد تحت انفاسه ــ زوجها ٠٠ زوجها

اما سليمان فظل على شرفة القصر يحدق الى هودج سبا حتى غابت عن العيان فدخل الى غرفته وفؤاده مفعم ياسا ورفع عينيه ويديه نحو السما طلبا للمعونة ولكن خانته قواه فارتمى على ركبتيه وهو يقول بصوت تخنقه العبرات من الاعماق اصرخ اليك يا ربي

الفصل السابع عشر

لم ترجع الملكة سبا الى بلادها حالا بعد رحيلها عن اورشليم بل مضت عليها سنة زارت في خلالها بلادا عديدة طلبا للاختبار وترويحا للنفس وعند رجوعها كان معها طفل جميل عمره لا يزيد عن الثلاثة اشهر دعته داود ٠ ولما وقف الشعب على الخبر وعرفوا ان الطفل الضبي هو الذي سوف يرث الملك فرحوا فرحا عظيما واخذوا يهتفون فليحي ولي العهد ٠٠ فليحي الامير داود

واخذت الايام تمر سريعا وسبا سابحة في بحر من التذكارات ، تذكارات كانت تعود بها الى الايام التي قضتها في اورشليم ، تلك الايام التي لم تملاء كاسها بخمرة الحب الا لتبدلها في الغد بمرارة الفراق ٠ ولكم جلست على شرفة قصرها مساء بعد مساء تحدق الى الشمس

وهي تتوارى وراء الافق وتودعها بافكار وتنهدات تمنت لو اوصلتها الشمس الى سليمان · بل وكم ودت لو انها تستطيع النسيان ··· نسيان اورشليم وقصر الملك وحديقته نسيان رسول فرعون الى سليمان وتهديداته التي قضت عليها بالبعاد عن الرجل الوحيد الذي احبته في حياتها ، نسيان قاعة العرش حيث اجلسها سليمان على عرشه وجثا امامها ودعاها مليكته ، وعلى الاخص نسيان تلك الشرفة وذلك المقعد حيث البسها سليمان خاتمه ودعاها عروسه وحيث تبادلا عبارات الوداع الاخيرة واستسلما صاغرين لسلطان الحب · ولكن انى لها النسيان وامامها طفلها ··· ذلك الطفل الذي لم تنظر اليه مرة الا واختلج قلبها وعضت على شفتها مخافة ان ينفتح فمها متلفظا باسم سليمان

وطال الزمن ولم ياتها من سليمان خبر ولا رسول ولا رسالة · فزادت حياتها مرارة واخذت تفسر سكوته عنها تفاسير شتى · تارة تحسب ان هنالك امراة اخرى تسلطت على قلبه فتثور غيرتها وتتجرع المرارات اشكالا ، وطورا تفسر سكوته عن اضطرار سياسي مراعاة لمشيئة فرعون ملك مصر فتدفع الشكوك عن قلبها وتضم ابنها الى صدرها وتقبله قبلات حارة مازجة قبلاتها بذكرى سليمان

ولكن الايام استمرت في سيرها المتواصل وكذلك استمر سليمان على سكوته وسبا على عذابها فرات ان تستجمع كل ما تبقى لها من العزيمة وتكافح تلك الذكرى — لتسلو ، لتنسى ، وان لم تستطع السلوان فعلى الاقل لتوصد قلبها وتقيد عواطفها وتلجم زفراتها وتنهداتها · فبعد عراك

حائل بينها وبين نفسها نجحت قليلا، نجحت لان ابنها كان قد نما تدريجا حتى صار يمشي قليلا وينطق بكلمات قليلة وهل لا تنسى الام كل ما في العالم عندما ترى طفلها في اول مشيه و كلامه؟

فاخذت تصرف معظم اوقاتها مع الصبي مفضلة ان تكون هي معه بدلا من الجواري لتقود خطواته الصغيرة ولتشنف اذنيها بسماع ما يحاول النطق به من الكلمات

ولكن هذه المرحلة من حياة الطفل ليست طويلة، وقد اجتازها الامير داود بسرعة ووصل الى دور الاستفهام وملاحظة الامور واستجلائها . لم يبلغ الخامسة من سني حياته حتى عرف ان في العالم كلمة «اب» ولكنه لم يفهم معناها، ولا قويت امه على تفسيرها له عندما سالها ذلك ببديهته الطاهرة بل اكتفت بقولها له «ستفهم متى كبرت» ولكنها لم تقل له ذلك الا بعد ان مزق الشقاء قلبها تمزيقا وهل من حرقة اعظم من هذه الحرقة ؟ الاب حي يرزق ولكنه بعيد ولا يدري ان له ابنا ، والابن يسال ما هو الاب والام تضطرها الاحوال السياسية الى الخضوع لهذا القضاء الصارم فتاكل قلبها حسرة وتلهي ابنها عن السؤال بقولها «ستفهم متى كبرت»

غير انه مهما عظمت قوى المراة فلها حد ، ومهما طال صبرها فله نهاية . وسبا بالرغم مما خصتها به الطبيعة من القوى لم تكن الا امراة ولم تستطع الا وان تكون اما . ورغما عن الموانع السياسية بينها وبين سليمان كانت تعتبر ذاتها زوجته . الم يتبادلا العهود

الم يقسم لها بالوفاء مشهدا عليه يهوه اله اسرائيل ؟ اليس خاتمه في اصبعها ؟ الم يدعها عروسه الى م السكوت اذن؟ الا حقوق لها عليه ؟ الا يجب ان يعرف عن الطفل ؟ الا يجب ان يراه ويعرف ان اسمه داود؟ تراكمت هذه الافكار على سبا مرارا عديدة فكانت في بادىء الامر تتلهى عنها بامور المملكة او بمناغاة ابنها ولكن اخيرا شعرت بان جعبة صبرها قد فرغت وقواها اخذت بالانخذال امام هذه الحقائق الساحقة فاضطرت الى الخضوع لاوامر قلبها وعزمت على ارسال الصبي الى ابيه ليزوره ، ليرى الاب ابنه فقد بلغ السابعة من العمر

ولكنها شعرت بان دافعا يدفعها الى ايقاف الصبي على شيء من عظمة ابيه ، او بالحري عن ملك عظيم اسمه سليمان لانها كيف تستطيع ان تخبره ان له ابا ؟ لماذا محاولة افهامه ما ليس يفهم ؟ ليصبر حتى يكبر . ولكن اتستطيع هي الصبر ؟ يجب ان تستطيعه . يجب ان تظل في شقائها وحرقتها . يجب ان تتكلم عن سليمان كانه غريب عنهـا فاستعانت بكل ما بقي لها من القوة واجلست ابنها الى جنبها يوما وقالت له

ــ ايميل قلبك الى السفر الى بلاد بعيدة يا داود.

فلم يخطر في بال داود ولاخامر قلبه الصغير ان في السفر ما يسمونه فراقا وبعادا عن امه بل ارتسمت في مخيلته حالا صورة مهر صغير كان مغرما به فاجاب على الفور

ــ اتعنين انني اركب المهر وقتا طويلا ويرافقني طمران فتنهدت سبا حين قابلت هم ابنها الصبياني بما تلاقيه هي

من العذاب واجابت

ــ نعم يا داود ... وستبعد عني الى حيث تقابل ملكا عظيما اسمه سليمان

ــ ومن هو سليمان ؟

ــ هو كما قلت لك ملك عظيم يملك على بلاد اسرائيل ويحبه جميع الناس

ــ اتحبينه انت ايضا يا اماه ؟

ولكن هذا السوءال الذي خرج عن صفاء قلب الصبي ما كان الا ليثير ما كان كامنا في قلبها من الذكرى، فاغمضت عينيها كانها خافت ان ترى السوءال مكتوبا امامها في الفضاء واجابت وهي تكاد تختنق من شدة الانفعال

ــ اريد منك ان تحبه كما تحبني يا داود

ــ ساقول له انك اوصيتني بحبه يا امي، ولكن متى يكون ذهابي اليه فاركب على المهر

ــ عن قريب

فاخذ داود يهتف من شدة الفرح وخرج من لدن امه ينادي طمران ليخبره بالامر اما صبا فتبعته بنظراتها وقلبها حتى توارى عنها ، ثم تناولت خاتم سليمان من يدها وطبعت عليه قبلة حارة مرددة لنفسها

ــ سيعرفه ... سيعرفه ... سيفهم متى راى هذا الخاتم معلقا كقلادة في عنق الصبي

ولم تستطع الاستمرار على تجلدها فارتمت على صدرها على المقعد واخذت تشهق قائلة بصوت تقطعه الزفرات

سليمان ... سليمان

الفصل الثامن عشر

لم تكن السنوات التي مرت على سليمان بعد رحيل سبا عنه الا لتزيده غنى وعظمة وجلالا ولكنه لم ينس سبـا بل كان مضطرا الى السكوت عنها حذرا من تجنس اخيه ادونيا عليه، فادونيا لا يتوقف عن افشاء السر الى الملكة اماراس اذا راى ان اخاه قد عاد الى تجديد العلائق مع سبا ، والملكة اماراس لا تحجم عن الشكوى الى ابيها فرعون ، وفرعون لا شك يزحف بجيوش مصر الجرارة اذا خامره شك في سليمان ولشتم انه قد يطلق ابنته الملكة اماراس ليتخذ سبا ملكة بدلا منها ٠ وهكذا مرت الايام وتلتها الشهور والاعوام وسليمان يقاسي من الالم ما لا يدرك شدته الا المحب المفارق

وكان في بادىء الامر يعلل نفسه بان سبا قد ترسل اليه رسولا سرا فلما طال الزمان ولم يات الرسول حسب انها سلت حبه وتناست العهود ولكنه عاد فتذكر ذلك القسم الهائل بل ذلك العهد الذي قطعته على نفسها ليلة الوداع فقال في نفسه ان من تقطع على نفسها عهدا كهذا لا يمكن ان تنسى ويا ليته علم انها لا تستطيع النسيان حتى ولو ارادت ، ولكن انى له ذلك وهو لم يحلم قط بان سبا صارت اما

غير انه بالرغم من طول امد الفراق لم يقنط وان يكن قد خامر فؤاده قليل من الياس بل بقي متمسكا بشجاعة

من الامل ، معللا النفس بانه سوف يراها بعد، والقلب اذا لم يفقد الامل هان عليه الصبر على اعظم الشدائد واحتمال اشد الالام

وظل هكذا ، تارة يلهي نفسه بامور المملكة وطورا بما حازه من غنى ومجد الى ان سمع يوما صوت الابواق عند اسوار المدينة معلنة قدوم زائر للملك ، ومثل امامه احد الجنود معلنا ان القادم رسول الى الملك من قبل ملكة سبا فاضطرب سليمان عند سماعه ذكر ملكة سبا ولم يدر كيف يفسر ارسالها هذا الرسول اليه بعد ان مضى على سكوتها ما يقارب ثمانية اعوام ، ولعظم اضطرابه لم يستطع الصبر الى ان يصل الرسول بل ذهب الى شرفة تطل على الطريق الموءدية الى القصر ووقف حيث يرى ولا يرى ، متشوقا الى روءية رسول الملكة التي ملكت قلبه

وبدت الفرسان السائرة في طليعة الموكب فاشرأب سليمان بعنقه متطلعا الى ما وراءهم واذا به يرى صبيا مرتديا حلة عسكرية راكبا على مهر صغير والى جانبه فارس تبينه سليمان فاذا هو طمران . فلم يدر سليمان ايهما الرسول، فاسرع الى قاعة العرش وعقله في شاغل باستجلاء هذه الزيارة غير قادر على الصبر حتى يمثل الرسول امامه . لقد حيره امر الصبي . من هو؟ ولماذا جاء مع طمران ؟ وعند ذكر طمران ارتسمت امامه اشباح الماضي تذكر ان طمران كان ينظر الى سبا نظرات كلها حب بل عبادة الم يره ينظر اليها وصدره في ارتفاع وهبوط من شدة الانفعال ؟ الم يكن حارسها ورفيقها من قبل ان تصير

ملكة؟ ايمكن ان يكون طمران قد تزوجها فرزق منها هـذا الصبي ؟ ولكنها قطعت على نفسها عهدا امامه انها لن تتزوج بعد رحيلها عن اورشليم ولو ادى ذلك الى حرمان بلادها من وريث . ايمكن ان ...

ولكن دخل عليه الحاجب فقطع عليه افكاره ، وانتفض سليمان عندما سمعه يعلن قائلا

ـ الامير داود ابن ملكة سبا

فاخذ سليمان يحدق الى الصبي تحديقا غريبا عندما سمع اسم داود وظهر عليه اضطراب لم يالف رجاله رؤيته فيه من قبل . حاول ان يحل اللغز ولكنه لم ينجح . الصبي اسمه داود وهو ابن سبا ، ولكن لماذا دعته داود؟

ودخل الصبي بين صفين من الحراس ومشى توا الى منصة العرش حيث كان سليمان جالسا فادى تحية عسكرية وخاطب الملك بجاش ثابت قائلا

ـ لقد ارسلتني امي ملكة سبا لكي اقدم للملك سليمان هذه الهدية

واشار الصبي الى خاتم معلق كقلادة في عنقه

فلم يكد سليمان ينظر الى الخاتم حتى امتقع لون وجهه وارتجفت شفتاه واعتقل لسانه فلم يستطع الكلام . اخذ ينظر تارة الى الصبي وطورا الى الخاتم وهو مبهوت لا يدري ماذا يقول او ماذا يفعل . الخاتم خاتمه ، خاتم داود ابيه الذي اهداه الى سبا ليلة الوداع . هجمت عليه ذكرى الماضي . راى سبا تفوز على وشتي في حفلة السباق رآها تنفر من اخيه ادونيا في حديقة القصر ، رآها واقفة

امامه قائلة «ضمني الى صدرك يا سليمان وقــل لي انــك تحبني فــا نا لهــذا بقيت في اورشليم حتى اليوم» رآهــا منتصبة تقــول لرسول فرعون «قل لسيدك فرعون ان ملكة سبا ترجع غدا الى بلادها . ثم تمثلها حين اختلت معــه في ذات القاعة التي هو جالس فيها الان فراها وقد حلت شعرها ارضاء له ، وراها وهي في شرفة القصر حيث وافته في ليلة الوداع ، سمعها تردد ذلك القسم الهائل «ان سبا التي لم تحب رجلا قبل سليمان تقطع على نفسها عهدا انها لن تحب رجلا بعده ولن تتزوج غيره وان يكن في ذلك حرمان بلادها من وريث يرث الملك بعدها» سمعها تقول «الم تلبسني خاتمك منذ هنيهة ... انك عريسي يا سليمان والقمر والنجوم شهود على ما اقول واعلم بان محبتي لك قوية كالموت

مرت هذه الحوادث امام سليمان مرور البرق وهو جاحظ بعينيه كمن اصيب بمس من الجنون ويلهث من فرط ما ناله من الانفعال . نظر الى الصبي فرآه واقفا امامه يبتسم ونظر الى الخاتم فادرك السر . عرف ان هذا الامير الصغير الواقف امامه والمدعو داود لم يكن الا ابنه . فهم بان يضمه الى صدره ويقبله قبلة حارة ولكنه راى ادونيا بين الروساء ينظر اليه شذرا وتمثل امامه فرعون بجيوشه ومركباته فعض علي شفته من الانفعال حتى كاد يدميها واستجمع كل ما تبقى له من القوى لامتلاك عنان نفســه واكتفى بان ضم الصبي اليه ضمة خفيفة طابعا على جبينه قبلة خالية مما كان بقلبه من اللهيب وسال الصبي قائلا

ــ وكيف حال امك الملكة سبا

ــ انها بخير وقد قالت لي انك ملك عظيم ويجب ان احبــك

فخاف سليمان ان يتفوه الصبي بما قد يفشي السر امام من في القصر فقام عن عرشه واخذ الصبي بيده قائلا

ــ تعال معي الى حيث يمكنك ان تستريح من اتعاب السفر

وصعد مع الصبي الى ذات الشرفة التي ودع فيها سبا وجلس واياه على ذات المقعد وعاد الى حديثه قائلا

ــ لقد قلت ان امك اوصتك بمحبتي فهل تظن انك ستحبني ؟

فاجاب الصبي بسلامة قلب لا تكون الا مع الاولاد

ــ لقد احببتك قبل مجيئي اليك لان امي تحبك ايضا

فاعترت سليمان هزة لم يشعربمثلها منذ ذهاب سبا واجاب وصوته يرتجف

ــ وكيف عرفت ان امك تحبني

ــ لقد قالت لي ان جميع الناس يحبونك فلا شك في انها هي ايضا تحبك

فاحس سليمان بان قواه عاجزة عن الاستمرار على التجلد فضم الصبي الى صدره واخذ يطبع على خديه قبلات حارة متتابعة وفؤاده يتمزق شوقا الى القول

ابني داود ... ابني داود

الفصل التاسع عشر

اذا انت اكرمت الكريم ملكته
وان انت اكرمت اللئيم تمـردا

وادونيا كان لئيما غادرا فلم يكن الاكرام الذي عامله به اخوه الملك سليمان الا ليزيده تماديا في لؤمه وغدره حاول مرارا ان يخلع اخاه عن العرش فلم يفلح فاخذ يعمل على تمرير عيشه وكان اخر ما اتاه التفريق بين سليمان وسبا بمساعدة الاميرة وشتي الأمورية احدى نساء اخيه .

ولكن من كانت هذه طبيعته لا يكتفي بما سببه مرة او مرتين من الاذى والشقاء للغير بل يترقب الفرص ليعيد الكرة او ليتخذ هدفا جديدا ولم يطل الامر على ادونيا حتى قرا السر الذي حاول سليمان اخفاءه في قلبه وعرف ان حياته متعلقة بالصبي فحدثته نفسه الخبيثة بان يتخذ الامير داود واسطة جديدة لتمرير عيش سليمان · انه لم يستطع الوصول الى عرش اسرائيل فليجعل اذن حيـاة الجالس على العرش مملوءة بالشقاء

وما هي الا ايام قلائل حتى اجتمع بالاميرة وشتي مرة اخرى واتفق واياها على خطة لاختطاف الصبي سرا · ان الصبي ابن سبا فهل تتاخر وشتي عن اجراء ما فيه انتقام من عدوتها؟

اما سليمان فكان شاغله اعداد وسائل الهناء للامير داود للصبي الجميل، لأبن سبا التي سبت قلبه، لابنه الذي لم يره الا بعد ان بلغ السابعة من العمر · ان الاقدار تضطره

الى الحياة بعيدا عنه فليغتنم اذن فرصة وجود الصبي في اورشليم • انه ابنه وابن المراة الوحيدة التي احبها في حياته حبا حقيقيا فلمـاذا لا يعد له جميع وسائل الهنـاء؟ لماذا لا يضمه الى صدره كلما سنحت الفرصة ؟ انه قد يرجع الى امه غدا او بعد غد او بعد شهر ولكنه سيرجع • سيحرم روءيته وهو ابوه

لم يتجرا سليمان على الافتكار بما سوف يلاقية من مرارة العيش عندما يرجع الصبي الى امه فاخذ يعيش ليومه نابذا ذكر الغد • صار لا يصبح ولا يمسي الا والصبي امامه لم يسمح بابتعاده عن عينيه الا حين كان يذهب الى قاعة القضاء ليقضي لبني اسرائيل او حين يدعوه امر هام من امور المملكة • وحينئذ تولى امر حراسته طمران ، طمران الذي احب سبا حبا يقرب من العبادة، حبا تقيا طاهرا، حبا ابتدا معه مذ كانت مجهولة على شاطئ البحر مع خالها الشيخ بنمال واختها نوميس ولكنها لم تشعر هي بحبه فلم تبادله اياه ، حبا لم ينل منه سوى الشقاء والياس • ولكن طمران كان شريفا والشريف لا يتاخر عن القيام بعمل شريف ولو لم ينل عليه جزاء • وهل من خدمة يستطيع طمران تقديمها لمعبودته اشرف من القيام بحراسة ابنهـا والسهر على سلامته • اليس ابنها سعادتها؟

اذن يجب عليه ان يسهر على حياة هذه السعادة • علم ان سبا تحب سليمان ، بل علم انها زوجته سرا ، ولكن ما الفرق، لتهنا في حبها فذلك يهنيه هو ايضا • لئن خسرها حبيبة وزوجة فلن يخسرها الهة معبودة

ولكنه اضطر يوما الى حضور حفلة اقامها الملك سليمان لحليفه حيرام ملك صور فراى ان يترك الصبي في حراسة العبد عوليس الذي جاء معه من بلاد سبا ، عوليس الذي اهداه منطور الى الشيخ بنعال وسبا ونوميس حين كانوا عائشين على شاطىء البحر في ايام عرمود . كان عوليس ذا قوة جسدية عظيمة وامينا الى اخر ما يبلغ اليه التصور . ولكم بكى على الاميرة نوميس التي اختطفها جنود عرمود اما مولم يستطع تخليصها . لم يعش منذ موت نوميس الا ليموت في خدمة سيدته الملكة سبا اختها . فعندما عهد اليه طمران بحراسة الصبي فرح في قلبه وقال انهم وان يكونوا قد اختطفوا نوميس وهي في حراستي فلن يختطفوا الصبي ولكن طمران لم يشا ان يترك الصبي الى عوليس بدون تشديد في التحذير فشدد عليه الامر بالمراقبة واوصاه ان لا يدع رجلا يقترب من الامير داود وعلى الاخص يجب ان يحذر من ادونيا . فاخذ عوليس الصبي الى حديقة القصر واخذ يتبعه مراقبا كما يتبع الكلب سيده . شعر بفخر عظيم فانه قد عين حارسا لولي عهد بلاد سبا ، فلتات كتيبة من الفرسان الان . فانهم لن يستطيعوا اختطاف الصبي منه

ولكن ادونيا لم يفكر بارسال كتيبة من الفرسان لاختطاف الصبي . فادونيا كان داهية خبيثا غادرا ومن كانت هذه صفاته لا يعمد الى القوة الا حين الاضطرار ظل صابرا متربصا كالذئب فلما راى الصبي وعوليس منفردين في الحديقة اسرع الى وشتي وقال لها

ـــ لقد جاءت ساعتك ولن تكون لنا فرصة اخرى كهذه

فاسرعي بالعمل

فابتسمت وشتي ابتسامة ضاهت بخبثها ابتسامات ادونيا واجابت

ــ ابعث لي برجلين من رجالك الاشداء ليختبئا في غرفتي السفلى فلا يمضي القليل من الوقت حتى يكون الصبي في اسرك

فتركها ادونيا مسرعا وذهب الى خيام رجاله الملتفين حوله فارسل الى وشتي رجلين وجلس ينتظر النتيجة على احر من الجمر

اما وشتي فدعت وصيفاتها للتمشي معها في الحديقة ثم احضرت كرة مصنوعة من شعر الابل ومكسوة بالريش الناعم وقالت لهن

ــ لنلعب بهذه الكرة قليلا فيزول عنا الضجر

فاخذت الجاريات برمي الكرة وتلقفها كل بدورها فابصر بين الامير داود وقال للعبد عوليس اريد ان العب مع الفتيات

ففكر عوليس قليلا ولكنه لم يجد لذلك مانعا . لقد اوصاه طمران بالحذر من الرجال وعلى الاخص من ادونيا ولكن ما الضرر من الفتيات . فسمح للصبي بان يلعب معهن ووقف هو يراقب عن قرب

واخذت الفتيات ترمي الكرة الى الصبيّ وهو يرّميها اليهن والطرب اخذ منه كل ماخذ

وجاء دور الاميرة وشتي لترمي الكرة اليه ، وكانت قد لحظت ان نافذة غرفتها وراء الصبي تماما ، فرمت الكرة ولكنها لم تقع بين يدي الصبي بل علت نحو النافذة وسقطت

في داخل الغرفة • فتكلفت وشتي ضحكة عالية وقالت
ــ عجبا كيف افلتت الكرة من يدي ، اركض يا داود والتقطها عن ارض الغرفة

فاسرع داود الى الداخل وهو يضحك ، دخل كما يدخل العصفور الى الشرك واني له ان يدري بمقصد الرجلين المختبئين في الداخل • دخل ولكنه لم يخرج فاخذت الفتيات تنادينه ولكنه لم يجب ، فلحقنه الى الداخل وتبعتهن وشتي متظاهرة بالتخوف على سلامته ولكن الصبي لم يكن هناك • واستبطاهن عوليس في الخارج فدلته غريزته على ان في الامر غرابة فركض نحو الغرفة ودخلها وعيناه تقدحان شررا واخذ يسال كالمجنون

ــ اين الامير داود •• اين الامير داود ؟

ولكنه لم يسمع جوابا ونظر الى الفتيات فراى الذعر مرتسما على وجوههن فكاد صوابه يطير واخذ يدخل من باب ويخرج من اخر مفتشا عن الصبي ولكن بدون جدوى

لم يجد سوى وشاحه الصغير ملقى على الارض وعليه اثر نعل كبيرة فادرك ان الصبي اختطف اختطافا • فاخذ يبكي كالطفل من قهره واسرع الى حيث كان سليمان وطمران في الحفلة ودخل بدون استئذان وجثا امام طمران قائلا

ــ اضرب عنقي بسيفك يا سيدي فانني قد فشلت في مهمتي مرة ثانية ••• ان الامير داود قد اختطف

ففتح طمران فمه يريد الكلام ولكنه لم يدر ماذا يقول اما سليمان فاكتفى بان صر على اسنانه وقال

ــ الويل لمن اختطفه •• الويل له من سليمان ملك اسرائيل

الفصل العشرون

كان لاختطاف الامير داود دوي عظيم في اورشليم لان الجراة على اختطافه من القصر لم تكن بالامر الذي يقدم عليه الا من ظن في نفسه قوة على معاداة الملك سليمان. ومع ان الظنون حامت حول ادونيا واتباعه فلم يكن هناك من يجروء على المجاهرة بفكر كهذا دون ان يعضده بالبرهان.

اما سليمان فتحول عيشه من حلاوة الى مرارة ومن هناء الى شقاء ولكنه لم يسمح للياس بان يتغلب عليه. كان خبر اختطاف الصبي شديد الوطاة على قلبه، فالصبي ابنه وابن المراة الوحيدة التي ملكت لبه، فكاد عقله يتضعضع غير انه ادرك ان الموقف موقف تفكير وعمل لا موقف ياس وفشل فبدا بتفحص الحادثة والاستدلال والاستنتاج فلم يطل الوقت عليه حتى استقر رايه على ان ادونيا هو المختطف او الراس المدبر للاختطاف. مرت امام مخيلته جميع الامور الدنيئة التي قام بها اخوه ضده في حياة داود ابيه وبعدها، ورآه يتوعده بالشر حينما رفضت سبا حبه، فهو اذن يكرهها واحسن سبيل لتمرير عيشها حرمانها ابنها. نعم ان ادونيا هو المجرم لان لا فائدة تاتى عن الصبي الا اذا كانت في مساومة الملك على امر كبير او في اثارة فتنة او حرب. وعلاوة على ذلك فالصبي قد اختفى من غرفة الاميرة وشتي، تلك التي اظهرت كرهها لسبا مرارا، تلك التي تامرت مع ادونيا لتفوز على سبا في حفلة السباق، فهي اذن حليفة ادونيا

في هذا الاختطاف هو الراس المدبر وهي اليد العاملة
راى سليمان الحقيقة في مخيلته كما لو انها مثلت امامه
فصر على اسنانه من الغيظ وردد وعيده في قلبه ٠
الويل لمن اختطفه الويل له من سليمان ملك اسرائيل٠
على انه راى من الحكمة ان لا يحرك ساكنا ولا ان يلقي
التبعة على اخيه جهرا قبل حصوله على ما يؤيد ظنونه والا
فان ادونيا قد يتخذ التهمة وسيلة لتصوير نفسه امام الشعب
مضطهدا مظلوما من اخيه فيكسب شعورهم ومناصرتهم ٠
فاخذ باعداد التدابير سرا لملافاة هذا الخطر واعلن جائزة
كبيرة لمن يجد الصبي وياتي به اليه ٠
ومضى يومان لم يذق سليمان في خلالهما طعم الراحة٠
كان كيف اتجه يتمثل له الصبي امامه ٠ تارة يراه راكضا
ضاحكا لاعبا وطورا يسمعه يقص عليه امورا عن امه، فاذا
رجع الى نفسه وراى ان الصبي بعيد عنه طار قلبه شعاعا
من خوفه على سلامته٠
اما طمران فكان كالمجنون من وقع هذه الضربة عليه
لان حبه للصبي كان يعادل حبه لسبا وعلاوة على ذلك فهو
وحده المسؤول امام الملكة عن سلامة ابنها فلم يدر ماذا
يفعل٠ كان بطلا مقداما يهون عليه الوقوف في وجه كتيبة
من الفرسان والتنكيل بهم اما الان فهو غريب في اورشليم
واعداؤه مستترون في طي الخفاء فهو لا يستطيع محاربتهم
وقهرهم٠ فاضطر الى السكون صابرا على ما في فؤاده من
العذاب الاليم، معزيا نفسه بان سليمان لا بد له من ان يجد
الصبي فهو الملك العظيم الشان ولن يتوانى عن اتخاذ جميع

الوسائل الممكنة لصيانة ابنه من الخطر، وان يكن ابنه في السر فقط.

ولكن الاقدار اشفقت على سليمان وطمران ولم تشاء ان يتعذبا طويلا بين الشك واليقين ، وللاقدار يد خفية تمتد احيانا لاعانة البشر اما بمرهم واما بمبضع والنتيجة في كلتي الحالتين تخفيف العذاب او ازالته تماما وفي هذه المرة كان لا بد من اختيارها المبضع.

كان سليمان وطمران يتمشيان في حديقة القصر ومحور حديثهما الامير داود واذا باحد الحراس قد مثل امامهما وخاطب الملك قائلا.

— لقد جاء الينا رجل اسمه مزراح الافرامي يقول ان لديه اخبارا هامة لسيدي الملك.

فانتفض سليمان قليلا واجاب.

— مزراح الافرامي. . . انه احد رجال ادونيا . . . دعه يحضر الي حالا.

ولم يكد الحارس يبتعد عنهما حتى التفت الملك الى طمران قائلا.

— قلبي يحدثني باننا على وشك الوقوف على سر اختطاف الصبي.

وما هي الا برهة وجيزة حتى وصل مزراح الافرامي وسجد امام الملك قائلا.

— ليقتلني سيدي الملك اذا اراد فانني دنيء ولئيم انما التمس من سيدي ان يسمح لي اولا باطلاعه على امر هام.

— قف ولا تخف. . . ما هو هذا الامر الهام؟

ــ امر يتعلق بالصبي، بالامير داوديا مولاي

ــ بالامير داود • • • قل • • • عجل •ماذا تعرف عنه • • • اين هو الان؟

ــ هو اسير في احدى الخيام التي اعدها ادونيا لنفسه ولرجاله خارج اسوار المدينة وقد تركته سالما هذا الصباح ولكن • • •

ــ ولكن ماذا؟

ــ اخاف ان لا تطول سلامته اذا تاخر سيدي الملك عن نجدته •

فانتفض سليمان عند سماعه هذا القول وقال وهو يصر على اسنانه من الغيظ•

ــ تبا لادونيا من وغد لئيم • • • لقد صبرت عليه طويلا ولكن طفح الكيل الان فالويل له • • • الويل له

ثم كبح جماح عواطفه قليلا وقال لمزراح•

ــ وكيف وقفت على هذا الامر؟

ــ هذا ما اريد الاعتراف به لسيدي الملك• كنت يا مولاي من محبي ادونيا ومن العاملين بارادته في كل الامور بالرغم مما كنت اراه فيه احيانا من شراسة الاخلاق لاننا نحن معاشر الجنود نحترم قائدنا ونجله مهما بدا منه من الهفوات فكم بالحري وهو اخو الملك ومن بيت العظيم داود• غير انه منذ يومين طلب الي ان ادخل سرا مع رجل اخر الى غرفة الاميرة وشتي ونختبيء هناك الى ان يتاح لنا اختطاف الصبي • فقمنا انا ورفيقي بالامر خير قيام وحملنا الصبي الى خيام ادونيا بالرغم من ان ضميري كان

متعبا • ولكنني بعد ان اتممت الفعلة ندمت ندما شديدا لا سيما بعد ان رايت من قساوة ادونيا مع الصبي مايفتت القلوب • كان اذا شكا او بكى او استرحم او طلب جرعة من الماء لا يرى من الرجال الا اذانا صماء وقلوبا متحجرة • اما ادونيا فكان لا ينفك عن لطمه ورفسه كلما اعترضه في طريقه او راه يسترحم • اخير الم اطق ان ارى هذه الوحشية تمثل امامي فعزمت على ان اهجر ادونيا ورجاله واجيء الى سيدي الملك بالخبر • فليصنع سيدي في عبده كما يشاء •

— ان خطيئتك عظيمة يا مزراح ولكنني اغفرها لك لان حسنتك هذه تكفر عن سيئتك، انما قل لي، اتظن ان ادونيا يستعد للانقلاب علي ومحاربتي •

— نعم يا سيدي ولديه جم غفير من الرجال الساخطين على سيدي الملك لما يحملون من الضرائب التي يعدونها ثقيلة وهم يسعون في ان ينادوا بادونيا ملكا •

— لقد ساء فالهم فان الهي واله داود ابي، يهوه اله اسرائيل، لن يعطي النصر للاشرار المتمردين • اذهب الان واقم مع الحراس فربما احتجنا الى باسك وقوة سيفك قبل ان تغيب شمس هذا النهار •

ولما ابتعد مزراح قليلا التفت سليمان الى طمران وقال • ان الحرب ولا شك واقعة بيني وبين اخي، وقد يمكن ان يندلع لهيبها عند المساء او قبل، فانصح لك بالخروج من المدينة والا فهناك خطر على سلامتك • اذهب وقل للملكة سبا ان الملك سليمان سوف يعرض حياته لخطر الموت في سبيل ارجاع ابنها الامير داود اليها سالما •

فارتبك طمران عند سماعه قول الملك ولم يدر بماذا يجيب في بادىء الامر ولكنه ما لبث حتى انتصب وفي عينيه بريق عجيب وقال٠

ــ ليسمح لي سيدي الملك بمخالفة نصيحته هذه المرة فانني جندي يامولاي، جندي يتوق الى حومة الوغى ولا يهاب الموت لاسيما اذا كان في سبيل هناء سيدتي ملكة سبا٠

ثم اردف بصوت مضطرب دل على هياج شديد في فوءاده

ــ انني احب الصبي يا سيدي ٠٠ احبه كما احببت امه قبل ان تصير ملكة، ولكن حبي لها كان ولم يزل حبا طاهرا نقيا لا اثر للانانية فيه، حبا كله اجلال واكرام واحترام كحب العابد للمعبود٠ ٠٠ انها لا تعرف ذلك ولن تعرفه مني ٠ ٠ ٠ لقد مات ابي في سبيل ابيها وجل مناي في هذه الحياة ان اموت انا ايضا في سبيل هنائها٠ فدعني اخوض غمرات هذه الحرب معك فاما اظل حيا لخدمتها او اموت فيدفن حبي معي في القبر٠

لم ينته طمران من كلامه حتى اخذ سليمان يحدق فيه كالمبهوت لانه لم يتوقع سماع هذا الاعتراف الفجائي ٠ راعه ان يرى امامه شابا جميلا شجاعا باسلا يطلب الموت ليتخلص من حب لا امل له منه ٠ لم يدر بماذا يجيبه ولكنه احس بصغر في نفسه ٠ راى امامه محبا شريفا يفاخرجهرا بحبه وامانته واستعداده للتضحية فقابل بين ذلك وما اظهره هو من الانانية والجبانة في حبه لسبا٠ راى ماضيه منتصبا امامه يتهمه بالقصور في الحب ــ مطارحته سبا الغرام وثقتها به واستسلامها له وتضحية قلبها في سبيل راحته السياسية

برجوعها الى بلادها منعا لوقوع الحرب بين مصر واسرائيل وبينما هو يشد القبض بيديه من شدة انفعاله احس في يمناه بالخاتم الذي جاء به الامير داود من سبا امه فتبادرت الى ذهنه ليلة الوداع حينما البس سبا ذلك الخاتم، تلك الليلة التي تمثلت امامه مرارا من قبل، ورن في اذنيه قسم سبا الهائل ، ذلك العهد الذي اخذته على نفسها بانها لن تكون لرجل غيره وانتصب امامه شبح الصبي المفقود، ابنه الذي لا يجروء على الاعتراف به علانية، فاغمض عينيه محاولا التخلص من الام الذكرى، ولو لم يكن طمران واقفا امامه لخرجت من صدره انة كلها مرارة غير انه استدعى قواه كلها للتغلب على ثورة عواطفه واكتفى بانه ضغط بيده على كتف طمران وقال بصوت لم يخل من التهدج .

ــ انك نبيل يا طمران . . . نبيل . . . نبيل . . ليكن لك ما تريد . . . ابق معي اذا شئت . . . ولكن لا تفكر بالموت بل بالحياة . . . بالحياة من اجلها

وابتعد سليمان مسرعا دون ان يرى ما اثارته كلماته من الامل في صدر الشاب. اما طمران فاخذته الحيرة من كلام سليمان. وقال مرددا في نفسه.

ــ الحياة من اجلها . . . الحياة من لجلها . . . ماذا يعني يا ترى؟

ثم ابرقت عيناه بنور غريب واخذ صدره بالارتفاع والهبوط، وكانه نسي انه وحده فقال بصوت عال.

ــ نعم . . . الحياة . . . الحياة من اجلها. . فما احلاك ايها الامل.

الفصل الحادي والعشرون

لم يتماهل سليمان في الاستعداد للحرب مع اخيه ولا سيما بعدما عرف ان لادونيا اتباعا كثيرين يعضدونه ويعززون موقفه. ورأى من الحكمة ان لا يدع للمخاطرة مجالا في خطته الحربية فاستدعى اليه العبد عوليس وامره بالذهاب الى الملكة سبا ليوقفها على اختفاء الصبي وتمرد ادونيا والحرب التي لا بد من وقوعها . فامتطى عوليس جوادا عربيا سريعا وسار ينهب الارض نهبا . وما هي الا ايام قليلة حتى وصل الى بلاد سبا واطلع الملكة على جميع هذه الامور.

فادركت سبا للحال خطورة الموقف وكادت تجن من خوفها على ابنها فاعلنت لشعبها الخطر المحدق بولي العهد ودعت جنودها للزحف على اورشليم وتخليصه من الاسر، ومن فرط لهفتها لم تقو على البقاء في بلادها بل سارت مع الجيش غير مبالية بما قد ينتج عن ذلك من الخطر على حياتها

وكانت الحرب قد نشبت في المساء الذي ترك فيه عوليس اورشليم لان سليمان اراد مهاجمة ادونيا على حين غرة في الليل املا بان ينال الغلبة عليه حالا ولكن جواسيس اخيه وقفوا على هذه الخطة قبل تنفيذها واطلعوا ادونيا عليها فامر رجاله بان يدخلوا الى المدينة قبل اقفال ابوابها ويعملوا السيف في جنود الملك .

واشتد القتال بين الفريقين اياما دون ان يفوز الفريق الواحد على الاخر لان الاستعدادات كانت كثيرة عند

الجانبين غير ان سليمان راى بعينه النقادة ان رجاله سوف لا يستطيعون الثبات طويلا في وجه المتمردين فاعتصم وحاميته في حصن داود راجيا ان يطول امد الدفاع الى ان تصل جنود سبا • وراى ادونيا تقهقر اخيه فازداد عزمه على القتال واخذ يحرض اتباعه على التجلد كي لا تفلت الغلبة من ايديهم فاعملوا السيف في رجال سليمان حتى تمكنوا من الاستيلاء على مدخل الحصن وبينما ادونيا سكران بخمرة الانتصار وسليمان يحرض رجاله على الثبات ظهرت غبرة خارج اسوار المدينة وسمع تصويت الابواق فتوقف ادونيا ورجاله عن متابعة الهجوم هنيهة ليستفسروا الامر واذا بفرسان سبا قد دخلوا المدينة واطبقوا على المتمردين وسبا راكبة على فرسها تستنهض همم الفرسان غير مكترثة لما يحيط بها من الخطر • فتشجع سليمان ورجاله عندما راوا هذه النجدة واعملوا السيف في الثائرين فلم ينقض ذلك النهار حتى امسى رجال ادونيا بين قتيل وجريح واسير وهارب•

وكان طمران مع جنود سليمان كل الوقت وهو يبلي البلاء الحسن وهمه ان يتوصل الى ادونيا ليبارزه فابصر به عند انتهاء المعركة هاربا على جواده فلحق به حتى ادركه وصاح به•

— قف وقل لي اين الصبي والا طعنتك برمحي •

فارتد ادونيا عليه حين ابصره وحيدا وهجم عليه يريد قتله غير ان طمران كان امهر منه في اساليب القتال فاستظهر عليه وطعنه طعنة القته الى الارض جريحا يئن من

الالم فتقدم ليجهز عليه ولكن ادونيا خاطبه مسترحما قائلا٠

ــ لا تجهز علي فانني مائت من جرحي لا محالة احملني الى اخي سليمان فانني اود الاعتراف امامه وطلب الصفح منه فاجاب طمران توسله والقاه على الجواد امامه وسار به نحو الملك٠

وكان سليمان قد بادر نحو سبا لملاقاتها ولكنه قبل ان ينبث ببنت شفة بادرته هي بالسوءال قائلة٠

ــ اين ابني داود؟

ــ لا يعرف مقره الا ادونيا وقد فر هاربا منذ قليل وطمران اخذ بتعقبه واذ ذاك وصل طمران ورفع ادونيا عن الجواد ووضعه على الارض امام الملك وقال٠

ــ كان بوسعي الاجهاز عليه ولكنه التمس مني ان احمله اليك٠

فالتفت سليمان الى اخيه وهو ملقى على الارض وقال

ــ ماذا تريد مني ايها الشقي ؟

ففتح ادونيا عينيه بصعوبة واخذ يتكلم بصوت ضعيف متقطع فقال٠

ــ اخي ٠ ٠ سليمان ٠ ٠ ٠ اصغ الي واعف عني ٠ ٠ انني اشعر بدنو الاجل ٠ ٠ ٠ لقد تمردت على ابي واخطات اليك كثيرا ٠ ٠ ٠ وخالفت مشيئة الرب اله اسرائيل فجازاني بما استحق ٠ ٠ ٠ اريد ان اكفر عن اساءتي الاخيرة اليك ٠ ٠ ٠ لقد امرت رجالي منذ ثلاثة ايام بسجن الصبي في مقبرة الملوك، في المغارة الكبرى خارج اورشليم حيث كان الفلسطينيون يدفنون ملوكهم ٠ ٠ ٠ اسرع اليه ٠ ٠ ٠

قبل ان ٠ ٠ ٠ يفوت ٠ ٠ ٠ الاوان ٠ ٠ اغفر لي يا اخي ٠ ٠ ٠ اغفري لي يا سبا ٠ ٠ ٠ لا اطيق ان تذهب جريمتي ٠ ٠ معي ٠ ٠ الى ٠ ٠ القبر ٠

فتاثر سليمان من هول الموقف وبدا عليه الحنان بعد قسوته واجاب بصوت يتهدج من التاثر ٠

ــ انني اغفر لك يا اخي فارقد بسلام ٠

فمد ادونيا يده وامسك بيد سليمان وادناها من فمه وقبلها ٠ ثم اسلم الروح وعلى شفتيه ابتسامة ٠

فدمعت عينا سليمان وقال كانه يخاطب نفسه ٠

ليته لم يتمرد ٠ ٠ ٠ فقد كان اخي ٠ ٠ ٠ تغمده الله برحمته ٠

وبينما هو يعطي الاوامر للجنود بدفن ادونيا بالاكرام اللائق بمقامه وصل اليه احد العبيد وجثا امامه وقال ٠

ــ سيدي ان الاميرة وشتي قد تجرعت سما وقد فاضت روحها منذ قليل ٠

فلم يظهر على سليمان تاثر ما بل اجاب ببرود

ــ ان الحية لم تستطع عض غيرها فعضت نفسها ٠ ٠ ٠ هيا بنا الى المغارة لتخليص الامير داود ٠

الفصل الثاني والعشرون

كانت الايام التي مرت على الامير داود بعد اختطافه مصحوبة بالتعذيب الذي يصعب احتماله حتى على الرجال فكم بالحري على صبي صغير نظيره ٠ كان كيف

التفت في خيمة ادونيا لا يرى الا قلوبا متحجرة ولا يسمع اذ عبارات كلها قساوة ووعيد فصار على الرغم من صغر سنه يقابل بين ذلك وما كان يلقاه قبلا من الاكرام والرفاهية والهناء فتنهمل دموعه على خديه ولكن من يرق ويرحم ؟

ولكن ذلك كله كان سهلا بالنسبة الى ما اصابه بعد ان حمي وطيس الحرب بين ادونيا وسليمان فان ادونيا شعر عندئذ بان الصبي حمل ثقيل عليه وعلى رجاله فامر بان يوءخذ الى مغارة كبيرة خارج اورشليم تدعى مقبرة الملوك ويترك هناك الى ان تنتهي المعركة فاذا فاز على اخيه وظفر بالعرش يشترط على الملكة سبا القبول به زوجا اذا ارادت سلامة ابنها · فعمل رجاله بحسب امره ورموا الصبي في المغارة ودحرجوا صخرة كبيرة على بابها كي لا يستطيع الخروج منها ·

اجهش الصبي بالبكاء اولا شان كل الاولاد متى عوملوا بالقسوة ولكنه بعد قليل ادرك انه وحيد في مكان مهجور يكاد يكون مظلما فتسرب الخوف الى قلبه وصار يتصور اشباحا مرعبة تحوم حوله وتحدق اليه كانها تريد التهامه فتملكه الرعب وانعقد لسانه حتى عن الاستغاثة والصراخ واخذ يهرب من ناحية الى اخرى في المغارة حتى اقبل الليل وساد الظلام ولو لم تخنه قواه الجسدية ويسقط الى الارض واهيا مغميا عليه لجن او مات من شدة الرعب

وهكذا كان حاله في اليوم الثاني والثالث ، بل زاد في الامه ما اصابه من الجوع والعطش واخيرا شعر بانه لم يعد قادرا حتى على الوقوف على رجليه فاغمض عينيه

مستسلما للاقدار وارتمى ممتدا على الارض فاقد الحراك وهو يتمتم امي ٠ ٠ ٠ امي

اما سليمان وسبا وطمرالله فوصلوا الى المغارة مع عدد من الرجال بعد اعتراف ادونيا وموته بقليل وكانت سبا اول الداخلين اليها بعدما دحرجت الصخرة عن الباب فحينما ابصرت الصبي ممددا على الارض بلا حراك ارتمت عليه واخذت تشهق بالبكاء منتحبة فاقترب منها طمران وقال

ـ لماذا تنتحبين لعله مغمى عليه فقط٠

اما سليمان فاصفر وجهه حتى صار كلون الاموات ولكنه اقترب من سبا وانهضها عن الارض وقال بصوت يكاد لا يعلو عن الهمس من فرط ما ناله من الانفعال٠

ـ قفوا كلكم خاشعين فانني ساضرع الى الهي يهوه٠

ثم جثا الى جانب الصبي ورفع عينيه نحو السماء واخذ يصلي قائلا٠

ـ الهي واله داود ابي واله اجدادي٠ من الاعماق اصرخ اليك فاغثني ٠ انني خاطي٠ واثيم لا استحق معونتك ورحمتك ولكنني اضرع اليك من اجل هذا الصبي البري٠ الذي لم يجن ذنبا٠ ارحمه اللهم واسمح له بالحياة في حضن امه فيتمجد بذلك اسمك عند جميع الشعوب ويعلم الكل انك انت وحدك مصدر الحياة وليس اخر٠ الهي ٠ ٠ الهي لا تخيبني٠

وكانت الدموع والزفرات ترافق كل كلمة من كلماته فلم يكد ينتهي حتى تحرك الصبي وبعد قليل فتح عينيه فاستقرتا على امه فمد بذراعيه نحوها فهجمت عليه وضمته

الى صدرها وهي تشهق بالبكاء متمتمة ابني داود ٠٠
حبيبي داود٠

ثم رفعت صوتها قائلة ٠

ـ مبارك الرب الهك يا سليمان فانه منذ الان ربي واياه وحده اعبد فليتمجد يهوه اله اسرائيل٠

فهتف الجميع بعدها قائلين ٠ ليتمجد يهوه اله اسرائيل ٠

ـ الخاتمة ـ

بعد سنتين من هذه الحوادث كان منطور وطمران في حديقة قصر الملكة سبا يتمشيان ٠ كان طمران مطرقا براسه الى الارض ويتنهد بين فترة والاخرى ومنطور يراقبه وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة فان ما سبق من الحديث كان عن سبا ٠ ٠ ٠ سبا التي احبها طمران وكتم حبه عنها وعن الجميع ما عدا منطور وسليمان٠ وراى منطور ان الوقت قد حان لتخفيف الام الشاب فوضع يده على كتفه وقال٠

ـ لقد اطلعتني سبا على امر هام يا طمران اظنك تسر منه٠

فاجاب طمران ببرود ٠

ـ لم يعد لي من سرور في هذا العالم يا منطور فانني فقدت الامل منها٠

فزاد ابتسام منطور واجاب٠

ـ انصح لك ان تتعود الابتسام بدلا من العبوسة فانك ستحتاج اليه من الان فصاعدا ٠

ـ ان كلامك لغز يا منطور ٠

ـ اذا كان لغزا فهاك حله . . . لقد اخبرتني سبا بانه جرى لها حديث طويل مع سليمان قبل رجوعها من اورشليم

ـ لا ارى في ذلك ما يدعو الى الابتسام .

ـ ربما لا . . . ولكن سليمان خاف من ان يغضب يهوه اله اسرائيل اذا بقي على زواجه السري معها فابقى خاتمه معه وحل سبا من اليمين التي اقسمتها له.

ـ اتعني ان . . .

وتلعثم طمران فلم يكمل جملته فاردف منطور قائلا.

ـ اعني انها حرة الان وليست زوجة لسليمان ولا لغيره

فانتفض طمران قليلا وابرقت عيناه ولكنه عاد الى سكونه وياسه وقال.

ـ لقد كانت كذلك قبلا ولم انلها .

ـ ولكنها وقتئذ لم تعرف بحبك لها .

ـ فحملق طمران بعينيه وقبض بيديه على كتفي منطور وقال وفي صوته رنة غريبة .

اتعني انها تعرف الان . . . ومن اخبرها؟

ـ لقد اخبرها سليمان اولا ولما ذكرت ذلك امامي اعترفت انا به ايضا .

ـ وماذا قالت؟

ـ لا اذكر تماما ولكن انصح لك ان تذهب وتسالها بينما اذهب انا لاعداد معدات العرس.

انتهت